إتحاف الموحدين
في حكم
التوسل بالمخلوقين





بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد للّه تعالى نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللّه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده اللّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،وأشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله (صلى اللّه عليه وعلى آله الأطهار وصحبه الأخيار وسلم تسليما كثيرا)،﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّه حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾، ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾، ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا**﴾ ، وبعد:

فان اصدق الحديث كتاب اللّه وأحسن الهدي هدي محمد (ﷺ) وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار[١]، أما بعد:

فقد وقع في يدي كتاب بعنوان(إتحاف الأذكياء بجواز التوسل بالأنبياء والأولياء)، فأفزعني ما قرأت فيه من التلبيس والضلال، ووجدته بحق إتحافا(للجهلاء)بمسائل مشتبه بها ومؤولة ومصروفة عن وجهها الشرعي، ووجدت فيه أيضا كثيرا من التأويلات الباطلة للآيات والأحاديث ومن الغلو في المخلوقين، وأقوالا مكذوبة على بعض الأئمة والصالحين، قال بعض السلف: (يضيع هذا الدين بين الغالي فيه والجافي عنه)[٢]، وقد فرط البعض وأجازوا لأنفسهم أن يستدلوا

---

[١] هذه خطبة الحاجة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه وكان السلف يفتتحون بها خطبهم في دروسهم وكتبهم ، وأخرج الحديث أبو داود في سننه (٥٩١/٢) كتاب النكاح باب خطبة النكاح، والنسائي (٨٩/٦) كتاب النكاح باب مايستحب من الكلام عند النكاح، وابن ماجه في سننه (٦٠٩/١) كتاب النكاح باب في خطبة النكاح، والترمذي وحسنه (٤٠٤/٣) كتاب النكاح باب ماجاء في خطبة النكاح، وقد توسع الشيخ الألباني في تخريج الحديث في رسالته خطبة الحاجة.

[٢] ينظر: مدارج السالكين لابن قيم الجوزية٣٩٢/٢.



بأحاديث باطلة مكذوبة أو ضعيفة بجواز التوسل بالمخلوقين، وكأنهم لم يقرأوا ويسمعوا قوله عليه الصلاة والسلام المتواتر:((**إن كذباً عليّ ليس ككذب على غيري من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**)) متفق عليه[١]، وقوله ﷺ :((**من حدّث بحديث يُرى انه كذب فهو أحد الكذابين**))[٢] ، ومعنى يُرى؛ يظن فما بالك بالذي يعتقده ويتدين به! نسأل اللّه تعالى العافية، وكذلك قولهﷺ :((**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**)) متفق عليه[٣]، وفي رواية((**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**)) [٤]، ولمّا لم يفلحوا في إثبات مذهبهم المبتَدع بالأدلة الصريحة، لجأوا إلى تأويل الآيات والأحاديث الصحيحة بصورة تتناسب مع أهوائهم وبدعهم، ولكن بفضل اللّه تعالى ورحمته قد سخر علماء أجلاّء يبينون كذبهم ويردون أباطيلهم وصدق عليه الصلاة والسلام إذ يقول:((**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين**)) [٥]، لتدوم بهم النعمة على الأمة ويظهر بهم النور من الظلمة ويحيى بهم دين اللّه الذي بعث به رسوله ﷺ وبين اللّه بهم للناس سبيله فأفضلهم أتبعهم لهذا النبي الكريمﷺ، فجزاهم اللّه عن المسلمين خير الجزاء.

وقد طلب مني بعض الفضلاء أن أرد على أباطيل هذا الكتاب مخافة أن يقع بين يدي من لم تكن له دراية في مسائل العقيدة فيتوهم به ويضل

---

(١) صحيح البخاري(٤٣٤/١)،صحيح مسلم(١٠/١).

(٢) صحيح مسلم(٧/١).

(٣) صحيح البخاري٩٥٩/٢، صحيح مسلم١٣٤٣/٣.

(٤) صحيح البخاري٢٦٧٥/٦، صحيح مسلم١٣٤٣/٣.

(٥) مسند الشاميين لأبي القاسم الطبراني٣٤٤/١،مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي بتحقيق الشيخ الألباني وصححه ٥٣/١



ضلالا بعيدا، ومع قلة بضاعتي وندرة المصادر في هذا الموضوع وصعوبة الحصول عليها وحساسية الأمر للظروف السائدة المعروفة هنا، فقد أجبته لذلك إنتصاراً لدين الله تعالى وذباً عن سنة رسول الله ﷺ وتطهيرا مما دخل على العقيدة السليمة من الشوائب والأوهام والضلالات من الأديان والعقائد الضالة والله تعالى خير الحافظين، فدعوت الله تعالى أن يوفقني في إعداد بحث أرد به على هذه الشُبه والأغاليط مستفيدا ممن سبق، وقد سميته(**إتحاف الموحدين في حكم التوسل بالمخلوقين**)، فما كان فيه من صواب فمن الله وما كان فيه من خطأ وتقصير فمني ومن الشيطان والله ورسوله منه براء ، والله تعالى أسأل أن يجعل عملي هذا خالصاً له من غير شريك وان يتجاوز عن خطأي وزللي وتقصيري فيه , وان يغفر لي ولوالديَّ ولمشايخي وأساتذتي وللمسلمين عامة والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

كتبه

ضياء الدين الصالح الأثري البغدادي

١٤١٣هـ/١٩٩٢م



المبحث الأول: التعريف ببعض المصطلحات الشرعية: وفيه خمسة مطالب.

المطلب الأول: تعريف اللياذة والاستعاذة

الاستعاذة:طلب العياذة ، والعياذة: الالتجاءُ إلى الغير لدفع المكروه ؛ بخلاف اللياذة فهي : الالتجاءُ إلى الغير لجلب الخير ، ولايكون ذلك إلا من اللّه تعالى ،ولله در القائل:

يَا مَنْ ألوذُ به فيما أُؤَمِّلُه ومَنْ أعوذُ به ممَّن أُحَاذِرُهُ
لا يَجْبر الناسُ عظمًا أنت كَاسِرُه ولا يهيضون عظمًا أنتَ جَابِرُهُ

المطلب الثاني:تعريف الاستنصار؛وهو طلبُ النّصر والتأييد على العدو، ولايكون ذلك إلا من الله تعالى لقوله عزوجل﴿**وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [الأنفال الآية١٠]،وأما قوله تعالى﴿**فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ**﴾ [القصص الآية١٨]، فهذا مما يقدر عليه البشر،فكثيرا ما ينصر أحدنا أخاه في شجار مثلا،فلا تتخذ هذه الآية حجة للاستنصار بالمخلوق لاسيما الغائب أو الميت على أمور لايقدر عليها إلا الله تعالى ،فلا يطلب المدد والعون إلا منه عز وجل.

المطلب الثالث:تعريف الاستغاثة؛ وهي طَلبُ الغَوْثِ وهو التخْلِيصُ من الشِّدة والنِّقْمَة، والعَوْنُ على الفَكَاكِ من الشّدائِد،والفرق بينها وبين الدعاء؛إن الاستغاثة لاتكون إلا من المكروب،فعطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص،فكل إستغاثة دعاء،وليس كل دعاء إستغاثة،والاستغاثة نوعان: -

الأول:مايقدرعليه البشر في إغاثة أخيه كما في قوله تعالى﴿**فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ**﴾ [القصص الآية٥١].



الثاني: ما لا يقدر عليه إلا الله عزّ وجل كما في قوله تعالى﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ**﴾ [الأنفال الآية٩]،لذا لايحتج بالنوع الأول على أمور خاصة بالنوع الثاني،قال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي رحمه الله:(هذا وإنه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين ، جماعات يدعون أن للأولياء تصرفا في حياتهم وبعد الممات ، ويستغاث بهم في الشدائد والملمات ، وبهم تكشف المهمات فيأتون إلى قبورهم ، وينادونهم في قضاء الحاجات ، مستدلين على أن ذلك منهم كرامات وقالوا : منهم أبدال ، ونقباء ، وأوتاد ، ونجباء ، وسبعة وسبعون ، وأربعة وأربعون ، والقطب هو الغوث للناس ، وعليه المدار بلا التباس ... وهذا الكلام فيه تفريط وإفراط، بل فيه الهلاك الأبدي ، والعذاب السرمدي ، لما فيه من روائح الشرك المحقق ،ومضادة الكتاب العزيز المصدق ، ومخالف لعقائد الأئمة وما اجتمعت عليه الأمة....والاستغاثة تجوز في الأسباب الظاهرة العادية من الأمور الحسية في قتال أو إدراك عدو أو سبع أو نحوه كقولهم يالزيد ويا للمسلمين، بحسب الأفعال الظاهرة، وأما الاستغاثة بالقوة والتأثير أو في الأمور المعنوية من الشدائد كالمرض وخوف الغرق والضيق وطلب الرزق ونحوه فمن خصائص الله تعالى لايُطلب فيها غيره)[(١)].

وروي أن أبا بكر الصديقرضي الله عنه قال: قوموا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((**لا يستغاث بي إنما يُستغاث بالله تبارك وتعالى،وفي لفظ إنه لا يقام لي بل يقام لله تبارك وتعالى**))[(٢)] ، قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن:(فيه

[(١)] ينظر: كتاب سيف الله على من كذب على أولياء الله ،للشيخ صنع الله الحلبي الحنفي المكي ت ١١٢٠هـ، ص١٥وما بعدها

[(٢)] مسند الإمام أحمد ٣١٧/٥، وقال الهيثمي في مجموع الزوائد ١٥٩/١٠ رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح; غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث.



النص على أنه لا يستغاث بالنبي صلي الله عليه وسلم ولا بمن دونه، كره صلى الله عليه وسلم أن يستعمل هذا اللفظ في حقه، وإن كان مما يقدر عليه في حياته؛ حماية لجناب التوحيد، وسدا لذرائع الشرك، وأدبا وتواضعا لربه، وتحذيرا للأمة من وسائل الشرك في الأقوال والأفعال، فإذا كان فيما يقدر عليه صلى الله عليه وسلم في حياته، فكيف يجوز أن يستغاث به بعد وفاته ويطلب منه أمور لا يقدر عليها إلا الله عز وجل؟)[1].

المطلب الرابع:تعريف الدعاء؛ وهو العبادة فقد جاء في الحديث الصحيح((**الدعاء هو العبادة**))[2] ، وقال تعالى ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ [غافر الآية٦٠]،فقد توعد الله تعالى مَن يسكتبر ويترك الدعاء ويصرفه لغيرة بالعذاب في جهنم، ولكن للأسف الشديد فقد صُرفت هذه العبادة لغير الله تعالى، صرفوها للمخلوقين من الأحياء والموتى ظناً منهم أن هؤلاء قادرون على نفعهم وضرهم ونسوا أنهم محتاجون للدعاء لهم لا منهم! قال تعالى﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ**﴾[الحج الآية٧٣]،وقوله تعالى﴿ **وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ، إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ**﴾[فاطر١٣ -١٤] وغيرها من الآيات، فالدعاء يجب أن يكون خالصا

---

[1] ينظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد،الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ١/٣٣٨.

[2] سنن أبي داود١/٤٦٦، سنن الترمذي٥/٢١١، سنن النسائي٦/٤٥٠، سنن ابن ماجة٢/١٢٥٨.



لله وحده وصرفه لغيره شرك والعياذ بالله، وقد تكفل تعالى بإجابة الدعاء إذا تحققت شروطه وبدون واسطة فقال ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾[البقرة١٧٦]، وقد أخبر الله تعالى انه قبل دعاء الملعون إبليس من غير واسطة ،فالمؤمن من باب أولى أن يُقبل دعاؤه مباشرةً من غير توسل ممنوع قال تعالى﴿ **قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٨٠) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١)**﴾[سورة ص] قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله في نونيته:

الحق شمسٌ والعيون نواظر لكنها تخفى على العميان

المطلب الخامس:تعريف التوسل لغة وشرعا

لغة: قال ابن الأثير في "النهاية": (الواسل: الراغب، والوسيلة: القربة والواسطة، وما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به، وجمعها وسائل، وقال الفيروز أبادي في القاموس: وسل إلى الله تعالى توسيلاً: عمل عملاً تقرب به إليه كتوسل، وقال ابن فارس في معجم المقاييس: الوسيلة: الرغبة والطلب، يقال: وسل إذا رغب، والواسل: الراغب إلى الله عز وجل، وهو في قول لبيد:

أرى الناس لا يدرون ما قدْرُ أمرهم بلى، كل ذي دين إلى الله واسلُ.

وقال الراغب الأصفهاني في المفردات: الوسيلة: التوصل إلى الشيء برغبة، وهي أخص من الوصيلة، لتضمنها لمعنى الرغبة، قال تعالى: ﴿**وابتغوا إليه الوسيلة**﴾، وحقيقة الوسيلة إلى الله تعالى: مراعاة سبيله بالعمل والعبادة، وتحري مكارم الشريعة، وهي كالقربة، والواسل: الراغب إلى الله تعالى،وقد نقل العلامة ابن جرير الطبري رحمه الله هذا المعنى أيضاً وأنشد عليه قول الشاعر:

إذا غفل الواشون عدنا لوصلنا وعاد التصافي بيننا والوسائل

وهناك معنى آخر للوسيلة؛ هو المنزلة عند الملك، والدرجة والقربة،



كما ورد في الحديث تسمية أعلى منزلة في الجنة بها، وذلك هو قوله ﷺ: ((**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة**))[١] ،وواضح أن هذين المعنيين الأخيرين للوسيلة وثيقا الصلة بمعناها الأصلي، ولكنهما غير مرادين في بحثنا هذا)[٢] .

التوسل شرعاً :

هو التقرب إلى الله تعالى بطاعته وعبادته وإتباع أنبيائه ورسله وبكل عمل يحبه الله ويرضاه ، يتضح مما تقدم أن التوسل لغة وشرعاً ... لا يخرج عن معنى التقرب أو ما يؤول من القربى إلى الله تعالى بما يرضاه من الأعمال الصالحة،وأما معنى الوسيلة في القرآن الكريم فقد وردت في القرآن في موضعين وهما قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدا في سبيله لعلكم تفلحون**﴾ [المائدة: ٣٥]، وقوله سبحانه: ﴿**أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً**﴾ [الإسراء: ٥٧].فأما الآية الأولى، فقد قال إمام المفسرين الحافظ ابن جرير رحمه الله في تفسيرها: (يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله فيما أخبرهم، ووعد من الثواب، وأوعد من العقاب. ﴿**اتقوا الله**﴾ يقول: أجيبوا الله فيما أمركم، ونهاكم بالطاعة له في ذلك.﴿**وابتغوا إليه الوسيلة**﴾: يقول: واطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه)[١] .

---

[١] – صحيح مسلم ١/٢٨٨

[٢] – ينظر: التوسل أنواعه وأحكامه للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ص٧

[١] ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير الطبري ١٠/ ٢٩٠

[٢] تفسير ابن كثير (٢/٥٢-٥٣).



ونقل الحافظ ابن كثير رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما أن: معنى الوسيلة فيها القربة، ونقل مثل ذلك عن مجاهد وأبي وائل والحسن وعبد الله بن كثير والسدي وابن زيد وغير واحد، ونقل عن قتادة قوله فيها: (أي تقربوا إليه بطاعته، والعمل بما يرضيه) ثم قال ابن كثير: (وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه.. والوسيلة هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود)[٢]، وأما الآية الثانية فقد بين الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مناسبة نزولها التي توضح معناها فقال: (نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن، فأسلم الجنيون، والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون)[٣].

---

[٣] صحيح مسلم بشرح النووي(٨/٢٤٥) والبخاري بنحوه (٨/٣٢٠-٣٢١ فتح الباري) وفي رواية له: (فأسلم الجن، وتمسك هؤلاء بدينهم).



قال الحافظ ابن حجر رحمه الله [١]:(أي استمر الإنس الذين كانوا يعبدون الجن على عبادة الجن، والجن لا يرضون بذلك، لكونهم أسلموا، وهم الذين صاروا يبتغون إلى ربهم الوسيلة، وهذا هو المعتمد في تفسير الآية)، وهي صريحة في أن المراد بالوسيلة ما يتقرب به إلى الله تعالى، ولذلك قال: ﴿**يبتغون**﴾ أي يطلبون ما يتقربون به إلى الله تعالى من الأعمال الصالحة، وهي كذلك تشير إلى هذه الظاهرة الغريبة المخالفة لكل تفكير سليم، ظاهره أن يتوجه بعض الناس بعبادتهم ودعائهم إلى بعض عباد الله، يخافونهم ويرجونهم، مع أن هؤلاء العباد المعبودين قد أعلنوا إسلامهم، وأقروا لله بعبوديتهم، وأخذوا يتسابقون في التقرب إليه سبحانه، بالأعمال الصالحة التي يحبها ويرضاها، ويطمعون في رحمته، ويخافون من عقابه، فهو سبحانه يُسَفه في هذه الآية أحلام أولئك الجاهلين الذين عبدوا الجن، واستمروا على عبادتهم مع أنهم مخلوقون عابدون له سبحانه، وضعفاء مثلهم، لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، وينكر الله عليهم عدم توجيههم بالعبادة إليه وحده، تبارك وتعالى، وهو الذي يملك وحده الضر والنفع، وبيده وحده مقادير كل شيء وهو المهيمن على كل شيء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:{ ولفظ التوسل قد يراد به ثلاثة أمور، يراد به أمران متفق عليهما بين المسلمين،**أحدهما**: هو أصل الإيمان والإسلام، وهو التوسل بالإيمان به ﷺ وبطاعته.

والثاني: دعاؤه وشفاعته، وهذا أيضاً نافع يتوسل به من دعا له وشفع فيه باتفاق المسلمين، ومن أنكر التوسل به بأحد هذين المعنيين فهو كافر مرتد يستتاب، فإن تاب وإلا قتل مرتداً.

---

[١] فتح الباري (١٠/١٢-١٣).



ولكن التوسل بالإيمان وبطاعته هو أصل الدين، وهذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام للخاصة والعامة، فمن أنكر هذا المعنى فكفره ظاهر للخاصة والعامة،وأما دعاؤه وشفاعته وانتفاع المسلمين بذلك فمن أنكره فهو أيضاً كافر، لكن هذا أخفى من الأول، فمن أنكره عن جهل عُرِّف ذلك، فإن أصر على إنكاره فهو مرتد،أَمَّا دعاؤه وشفاعته في الدنيا فلم ينكره أحد من أهل القبلة،وأما الشفاعة يوم القيامة، فمذهب أهل السنة والجماعة - وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين الأربعة وغيرهم - أن له شفاعات يوم القيامة خاصة وعامة، وأنه يشفع فيمن يأذن الله له أن يشفع فيه من أمته من أهل الكبائر، ولا ينتفع بشفاعته إلا أهل التوحيد المؤمنون دون أهل الشرك، ولو كان المشرك محباً له معظمًا له لم تنقذه شفاعته من النار، وإنما ينجيه من النار التوحيد والإيمان به...،وفي صحيح البخاري[(١)] عن أبي هريرة أنه قال: قلت: يارسول الله أي الناس أسعد بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: ((**أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه**))، وعنه في صحيح مسلم[(٢)] قال: قال رسول الله ﷺ: ((**لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً**)) متفق عليه،وغيرها من الأحاديث الصحيحة .**والثالث**: التوسل به بمعنى الإقسام على الله بذاته والسؤال بذاته، فهذا هو الذي لم يكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه، لا في حياته ولا بعد مماته، لا عند قبره ولا غير قبره، ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم، وإنما ينقل شيء من ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة أو عن من

---

(١) صحيح البخاري ١/٥،٤٩/٢٤٠٢

(٢) صحيح البخاري ٥/٢٣٢٣، صحيح مسلم ١/١٨٩



ليس قوله حجة كما سنذكر ذلك إن شاء الله تعالى،وهذا هو الذي قال أبوحنيفة رحمه الله وأصحابه: **إنه لا يجوز، ونهوا عنه حيث قالوا: لا يُسأل بمخلوق، ولا يقول أحد: أسألك بحق أنبيائك**،قال أبوالحسين القدوري في كتابه الكبير في الفقه المسمى بشرح الكرخي في باب الكراهة: **وقد ذكر هذا غير واحد من أصحاب أبي حنيفة**،قال بشر بن الوليد حدثنا أبو يوسف قال: **قال أبوحنيفة: لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، وأكره أن يقول: "بمعاقد العز من عرشك" أو "بحق خلقك"**. وقال القاضي أبو يوسف: بمعقد العز من عرشه هو الله فلا أكره هذا، **وأكره أن يقول بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت الحرام والمشعر الحرام.قال القدوري: المسألة بخلقه لا تجوز لأنه لا حق للخلق على الخالق فلا تجوز وفاقاً**[١]. وهذا الذي قاله الامام أبوحنيفة وأصحابه من أن الله لا يسأل بمخلوق له معنيان:

أحدهما: هو موافق لسائر الأئمة الذين يمنعون أن يقسم أحد بالمخلوق، فإنه إذا منع أن يقسم على مخلوق بمخلوق، فَلأنْ يمنع أن يقسم على الخالق بمخلوق أولى وأحرى، وهذا بخلاف إقسامه سبحانه بمخلوقاته كالليل إذا يغشى، والنهار إذا تجلى، والشمس وضحاها، والنازعات غرقا، والصافات صفا،فإن إقسامه بمخلوقاته يتضمن من ذكر آياته الدالة على قدرته وحكمته ووحدانيته ما يحسن معه إقسامه، بخلاف المخلوق فإن إقسامه بالمخلوقات شرك بخالقها كما في السنن[٢] عن النبي ﷺ أنه قال:((**من حلف بغير الله فقد أشرك**))وقد

---

[١] – ينظر: الجامع الصغير للشيباني مع النافع الكبير للكنوي ص ٣٩٥، والهداية (٢/٤٠٢) ط الهندية والفتاوى البزازية (٣/٣٥١)، الدر المختار في الفقه الحنفي (٢/٦٣٠). الفتاوى الهندية (٥/٢٨٠). وشرح الإحياء للزبيدي (٢/٢٨٥).

[٢] – الترمذي (٤/١١٠) وحسنه، وأبو داود (٣/٥٧٠)، مسند أحمد (٢/٣٤، ٨٦، ١٢٥)، والحاكم (١/١٨) و (٤/٢٩٧) وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي"، وأبو داود الطيالسي في مسنده



صححه الترمذي وغيره، وفي لفظ ((**فقد كفر**)) وقد صححه الحاكم، وقد ثبت عنه في الصحيحين[٣] أنه قال: ((**من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت**)) وقال: ((**لا تحلفوا إلا بالله**))[٤].

وقال:((**لا تحلفوا بآبائكم فإن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم**)) وفي الصحيحين[١] عنه أنه قال: ((**من حلف باللات والعُزَّى فليقل: لا إله إلا الله**)). وقد اتفق المسلمون على أنه من حلف بالمخلوقات المحترمة أو بما يعتقد هو حرمته كالعرش والكرسي والكعبة والمسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجد النبي ﷺ والملائكة والصالحين والملوك وسيوف المجاهدين وترب الأنبياء والصالحين وأيمان السذق[٢] وسراويل الفتوة وغير ذلك لا ينعقد يمينه ولا كفارة في الحلف بذلك، والحلف بالمخلوقات حرام عند الجمهور[٣]، وهو مذهب أبي حنيفة، وأحد القولين في مذهب الشافعي وأحمد، وقد حكي إجماع الصحابة على ذلك.

وأما الثاني وهو السؤال بالمعظم كالسؤال بحق الأنبياء فهذا فيه نزاع، وقد تقدم عن أبي حنيفة وأصحابه أنه لايجوز وقيل يجوز...وأما

ص ٢٥٧ حديث ١٨٩٦، والبيهقي في السنن (١٠، ٢٩)

(٣) – صحيح البخاري ٩٥١/٢،صحيح مسلم (١٢٦٦/٣)

(٤) – والحديث أخرجه أبو داود (٥٦٩/٣) من طريق عبيد الله بن معاذ عن أبيه حدثنا عوف عن محمد بن = سيرين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد ولا تحلفوا إلا بالله ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون والنسائي (٥/٧ ، ٦) بإسناده ومتنه وإسناده صحيح.

(١) أخرجه البخاري٢٤٥٠/٦،ومسلم (١٢٦٧/٢)، وأبوداود (٥٦٨/٣) والترمذي (١١٦/٤)، والنسائي (٧/٧) باب الحلف باللات، وأحمد (٣٠٩/٢).

(٢) لعلها "السذق" فارسية معربة وهي ليلة الوقود يعظمها المجوس، أو تكون مصحفة عن الصدق كما يدرج في لهجة العوام من الدروز.

(٣) بل حكى ابن حزم الإجماع على ذلك، فقال في مراتب الإجماع (ص ١٥٨): "واتفقوا أن من حلف ممن ذكرنا بحق زيد أو عمرو أو بحق ابنه أنه آثم".



السؤال بحق فلان فهو مبني على أصلين:أحدهما: ما له من الحق عند الله،والثاني: هل نسأل الله بذلك كما نسأل بالجاه والحرمة!،أَمَّا الأول فمن الناس من يقول: للمخلوق على الخالق حق يعلم بالعقل، وقاس المخلوق على الخالق، كما يقول ذلك من يقوله من المعتزلة وغيرهم [٤]، ومن الناس من يقول: لا حق للمخلوق على الخالق بحال، لكن يعلم ما يفعله بحكم وعده وخبره، كما يقول ذلك من يقول من أتباع جهم والأشعري وغيرهما ممن ينتسب إلى السنة،ومنهم من يقول: بل كتب الله على نفسه الرحمة، وأوجب على نفسه حقاً لعباده المؤمنين كما حرم الظلم على نفسه، لم يجب ذلك مخلوق عليه ولا يقاس بمخلوقاته، بل هو بحكم رحمته وحكمته وعدله كتب على نفسه الرحمة وحرم على نفسه الظلم،كما قال في الحديث الصحيح الإلهي: ((**ياعبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا**))[١].

وقال تعالى ﴿**كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**﴾وقال تعالى ﴿**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾وفي الصحيحين [٢]، عن معاذ عن النبي ﷺ أنه قال: ((**يامعاذ، أتدري ما حق الله على عباده؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، يامعاذ، أتدري ما حق**

---

[٤] راجع شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار وشرحه لأبي هاشم الجبائي (ص٤٩٣ - ٥٠٥). فإنه بحث فيها عن الأعواض المستحقة على الله ورد فيه على مخالفيه في زعمه

[١] أخرجه مسلم (٤/١٩٩٤)، ٤٥ - كتاب البر، ١٥ - باب تحريم الظلم، حديث (٥٥). وأحمد (٥/١٦٠) عن أبي ذر - رضي الله عنه -، وهو حديث طويل وعظيم، وشرحه شيخ الإسلام شرحاً خاصاً.

[٢] أخرجه البخاري ٥/٢٢٢٤،ومسلم كتاب الإيمان باب ١٠ حديث (٤٨ - ٤٩)' وابن ماجه (٢/١٤٣٥)، وأحمد (٣/٢٦٠)، والترمذي (٥/٢٦)



العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: حقهم عليه أن لا يعذبهم))،فعلى هذا القول لأنبيائه وعباده الصالحين، عليه سبحانه حق أوجبه على نفسه مع إخباره، وعلى الثاني يستحقون ما أخبر بوقوعه وإن لم يكن ثم سبب يقتضيه، فمن قال ليس للمخلوق على الخالق حق يسأل به، كما روي أن الله تعالى قال لداود: وأي حق لآبائك علي؟ [فهو] صحيح إذا أريد بذلك أنه ليس للمخلوق عليه حق بالقياس والاعتبار على خلقه، كما يجب للمخلوق على المخلوق، وهذا كما يظنه جهال العبّاد من أن لهم على الله سبحانه حقاً بعبادتهم، وذلك أن النفوس الجاهلية تتخيل أن الإنسان بعبادته وعلمه يصير له على الله حق من جنس مايصير للمخلوق على المخلوق، كالذين يخدمون ملوكهم وملاكهم فيجلبون لهم منفعة ويدفعون عنهم مضرة، ويبقى أحدهم يتقاضى العوض والمجازاة على ذلك، ويقول له عند جفاء أو إعراض يراه منه: ألم أفعل كذا! يمن عليه بما يفعله معه، وإن لم يقله بلسانه كان ذلك في نفسه.

وتخيلُ مثل هذا في حق الله تعالى من جهل الإنسان وظلمه، ولهذا بين سبحانه أن عمل الإنسان يعود نفعه عليه وأن الله غني عن الخلق، كما في قوله تعالى ﴿**إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا**﴾، وقوله تعالى ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ**﴾، وقوله تعالى ﴿**إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ**﴾، وقوله تعالى ﴿**وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ**﴾، وقال تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿**لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ❖ وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ**﴾. وقال تعالى ﴿**وَلاَ يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا**﴾، وقال تعالى ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ**



اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللّهَ غَنِيٌّ عَنْ الْعَالَمِينَ﴾.
ومن قال: بل للمخلوق على الله حق، فهو صحيح إذا أراد به الحق الذي أخبر الله بوقوعه، فإن الله صادق لا يخلف الميعاد، وهو الذي أوجبه على نفسه بحكمته وفضله ورحمته،وأما المقام الثاني فإنه يقال: مابين الله ورسوله أنه حق للعباد على الله فهو حق، لكن الكلام في السؤال بذلك، فيقال: إن كان الحق الذي سأل به سبباً لإجابة السؤال حسن السؤال به، كالحق الذي يجب لعابديه وسائليه،وأما إذا قال السائل: بحق فلان وفلان، فأولئك إذا كان لهم عند الله حق أن لا يعذبهم وأن يكرمهم بثوابه ويرفع درجاتهم - كما وعدهم بذلك وأوجبه على نفسه - فليس في استحقاق أولئك ما استحقوه من كرامة الله ما يكون سبباً لمطلوب هذا السائل، فإن ذلك استحق ما استحقه بما يسره الله له من الإيمان والطاعة، وهذا لا يستحق ما استحقه ذلك، فليس في إكرام الله لذلك سبب يقتضي إجابة هذا،والذي قاله أبوحنيفة وأصحابه وغيرهم من العلماء - من أنه لا يجوز أن يسأل الله تعالى بمخلوق، لا بحق الأنبياء ولا غير ذلك - يتضمن شيئين كما تقدم: - أحدهما: الإقسام على الله سبحانه وتعالى به، وهذا منهيٌّ عنه عند جماهير العلماء كما تقدم، كما ينهى أن يقسم على الله بالكعبة والمشاعر باتفاق العلماء.والثاني: السؤال به، فهذا يجوّزه طائفة من الناس، ونقل في ذلك آثار عن بعض السلف، وهو موجود في دعاء كثير من الناس، لكنَّ ما روي عن النبي ﷺ في ذلك كله ضعيفٌ بل موضوع، وليس عنه حديث ثابت قد يظن أن لهم فيه حجة، إلا حديث الأعمى الذي علَّمه أن يقول: "أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة" وسيأتي الكلام عنه قريبا}[1].

____

[1] - ينظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية ص٢٨و٥٢ومابعدها،بتحقيق الدكتور ربيع المدخلي، وينظر الكلام على حديث الأعمى في البحث ص٤١



المبحث الثاني:التوسل المشروع وأنواعه

فإنه نتيجة لبعد كثير من المسلمين عن ربهم وجهلهم بدينهم في هذا الزمن فقد كثرت فيهم الشركيات والبدع والخرافات، ومن ضمن هذه الشركيات التي انتشرت بشكل كبير تعظيم بعض المسلمين للمخلوقين الأحياء والأموات، ودعاؤهم من دون الله وأنهم بذلك يتوسلون بهم إلى الله لقضاء الحاجات وتفريج الكربات، ولو أن هؤلاء الناس رجعوا إلى القرآن والسنة وفقهوا ما جاء فيهما بشأن الدعاء والتوسل لعرفوا ما هو التوسل الحقيقي المشروع؟ إن التوسل الحقيقي المشروع هو الذي يكون عن طريق طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك بفعل الطاعات واجتناب المحرمات، وعن طريق التقرب إلى الله بالأعمال الصالحة وسؤاله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، فهذا هو الطريق الموصل إلى رحمة الله ومرضاته،أما التوسل إلى الله بذوات المخلوقين،والاقسام على الله بهم فليس هذا توسلا مشروعا بل ممنوعا،كما دلت على ذلك النصوص من الكتاب والسنة الصحيحة،وقبل الرد على الشبهات الأباطيل لا بد أن نتعرف على أنواع التوسل المشروع، فقد شرع لنا عز وجل أنواعاً من التوسلات المشروعة المفيدة المحققة للغرض، والتي تكفل الله بإجابة الداعي بها، إذا توفرت شروط الدعاء الأخرى إن الذي ظهر لنا بعد تتبع ما ورد في الكتاب الكريم والسنة المطهرة أن هناك ثلاثة أنواع للتوسل شرعها الله تعالى، وحث عليها، وَرَدَ بعضها في القرآن، واستعملها الرسول ﷺ وحض عليها، وليس في هذه الأنواع التوسل بالذوات أو الجاهات أو الحقوق أو المقامات، فدل ذلك على عدم مشروعيته وعدم دخوله في عموم (الوسيلة) المذكورة في الآيتين السالفتين،أما الأنواع المشار إليها من

التوسل المشروع فهي كالآتي[١]: -

الأول: التوسل بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا

كأن يقول المسلم في دعائه: اللهم إني أسألك بأنك أنت الرحمن الرحيم، اللطيف الخبير أن تعافيني،أو يقول: أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن ترحمني وتغفر لي، ومثله قول القائل: اللهم إني أسألك بحبك لمحمد ﷺ، فإن الحب من صفاته تعالى،ودليل مشروعية هذا التوسل قوله عز وجل: ﴿**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها**﴾ [الأعراف الآية ١٨٠].والمعنى: ادعوا الله تعالى متوسلين إليه بأسمائه الحسنى، ولا شك أن صفاته العليا عز وجل داخلة في هذا الطلب، لأن أسماءه الحسنى سبحانه صفات له، خصت به تبارك وتعالى، ومن ذلك ما ذكره الله تعالى من دعاء سليمان عليه السلام حيث قال: ﴿**قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه، وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين**﴾ [سورة النمل: الآية ١٩].وقال الله تعالى مخبراً عن عبده ونبيه ورسوله إبراهيم عليه الصلاة السلام كيف توسل إليه تعالى عندما أراد أن يتضرع إليه بالدعاء : ﴿ **رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ، رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ، رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ**﴾[سورة إبراهيم ٣٨ – ٤١] ،هذا نموذج من نماذج عدة من توسلات أبي الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام ،بعلمه سبحانه الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء من مكنونات صدور خلقه ولا معلناتها أنه سبحانه وتعالى المحمود في ذاته وأفعاله وصفاته

---

[١] – ينظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية،وكتاب التوسل أنواعه وأحكامه للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، والتوصل إلى حقيقة التوسل للشيخ محمد نسيب الرفاعي.



وأنه الوهاب لكل نعمة، ومن ذلك أنه تعالى أنعم على عبده ورسوله إبراهيم رغم كبر سنه وعقم زوجته أن وهبه إسماعيل وإسحاق وإنه لسميع الدعاء خلقه أينما كانوا وبأية لغة دعوا وبأيٍ قصد أو حاجة على اختلافها فإنه يسمع جميع الأدعية ويجيب كلاً على سؤله متى شاء فما دام إبراهيم عليه الصلاة والسلام يتوسل إلى الله تعالى بما علمه سبحانه أليس هذا حافزاً من الله تعالى إلى الاقتداء به ؟ إذا فلنشعر ولنسارع بالاقتداء والتأسي لنحظى من الله بالإجابة المبتغاة من الدعاء، وقال تعالى حاكياً عن قوم شعيب عليه السلام: ﴿ **قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ، قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ** ﴾ [**الأعراف ٨٨ -٨٩**]،والى غيرها من الآيات التي تبين التوسل المشروع.

ومن الأدلة قول النبي ﷺ في أحد أدعيته الثابتة عنه قبل السلام من صلاته ﷺ: ((**اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خير لي..**)) [١]، ومنها أنه ﷺ سمع رجلا يقول في تشهده: (**اللهم إني أسألك يا الله الواحد الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد أن تغفر لي ذنوبي، إنك أنت الغفور الرحيم**) ،فقال ﷺ ((**قد غفر له قد غفر له**)) [٢]، وسمع النبي ﷺ رجلاً آخر يقول في تشهده: (**اللهم إني أسألك**

---

[١]- سنن النسائي في الكبرى١/٣٨٧، مسند أحمد٤/٢٦٤، صحيح ابن حبان٥/٣٠٤، مسند أبي يعلى٣/١٩٥، مصنف ابن أبي شيبة٦/٤٤

[٢] سنن أبي داود١/٣٢٣، مسند أحمد ٤/٣٣٨، المسترك للحاكم١/٤٠٠، المعجم الكبير للطبراني٢/٢٩٦،



بأن لك الحمد لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، المنان يا بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم، إني أسألك الجنة، وأعوذ بك من النار) فقال النبي ﷺ لأصحابه: ((تدرون بما دعا؟)) قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ((والذي نفسي بيده لقد دعا الله باسمه العظيم (وفي رواية: الأعظم) الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطي))[٣] ،ومنها قوله ﷺ في الحديث الصحيح: **((من كثر همه فليقل: اللهم إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض فيّ حكمك، عدل فيّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو علمته أحد من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي إلا أذهب الله همه وحزنه، وأبدله مكانه فرجا))**[١]، ومنها ما ورد في استعاذته ﷺ وهي قوله: **((اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني..))**[٢] ، ومنها ما رواه أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ: **((كان إذا حزبه - أي أهمه وأحزنه - أمر قال: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث))**[٣] ،وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : سألتُ عائشةَ أم المؤمنين رضي الله عنها بأي شيء كان نبي الله ﷺ يفتح صلاته من الليل ..؟قالت : كان إذا قام من الليل افتتح صلاته قال :**((اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما**

وصححه الألباني

[٣] سنن الترمذي /٥٥٠، سنن النسائي٣/٥٢ وفي الكبرى١/٣٨٦،مسند أحمد٣/١٥٨،صحيح ابن حبان٣/١٧٥، الأدب المفرد للبخاري١/٢٤٦

[١] مسند الإمام أحمد١/٣٩١،صحيح ابن حبان ٣/٢٥٣، معجم الطبراني الكبير ١٠/١٦٩

[٢] صحيح البخاري ٦/٢٦٨٨، صحيح مسلم ٤/٢٠٨٦

[٣] سنن الترمذي ٥/٥٣٦، سنن النسائي الكبرى٦/١٤٧،المستدرك١/٦٨٩



كانوا فيه يختلفون أهدني لما اختُلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم))[٤] ، وعن أبي هريرة ﷺ وأرضاه قال : كان رسول الله ﷺ يأمرنا إذا أخذنا مضجعنا أن نقول : **((اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى منزل التوراة والإنجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته ، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأن الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين وأغننا من الفقر))**[٥].

فهذه الأحاديث وما شابهها تبين مشروعية التوسل إلى الله تعالى باسم من أسمائه أو صفه من صفاته، وأن ذلك مما يحبه الله سبحانه ويرضاه، ولذلك استعمله رسول الله ﷺ، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه**﴾ [سورة الحشر الآية ٨]، فكان من المشروع لنا أن ندعوه سبحانه بما دعاه به رسوله ﷺ، فذلك خير ألف مرة من الدعاء بأدعية ننشئها، وصيغ نخترعها .

الثاني: التوسل بالأعمال الصالحة التي قام به الداعي

أي توسل المؤمن إلى الله عز وجل بأعماله وطاعاته المقبولة عند الله تعالى وآية القبول : أن تكون خالصة لوجهه تعالى وأن تكون بما شرّع وأمر فإذا جمعت الأعمال هذين الشرطين فهي مقبولة عند الله تعالى بإذنه، ومثاله **كأن يقول المسلم: اللهم بإيماني بك، ومحبتي لك، وإتباعي لرسولك اغفر لي.. أو يقول: اللهم إني أسألك بحبي لمحمد ﷺ وإيماني به أن تفرج عني.. ومنه أن يذكر الداعي عملاً صالحاً ذا**

---

[٤] سنن الترمذي٥/٤٨٤، سنن النسائي٣/٢١٢، سنن ابن ماجة١/٤٣١ ،صحيح ابن خزيمة٢/١٨٥،صحيح ابن حبان

[٥] سنن الترمذي٥/٢٧٢، سنن النسائي الكبرى٤/٣٩٥، سنن إبن ماجة٢/١٢٥٩، مسند الإمام أحمد٢/٣٨١، صحيح إبن حبان٣/٢٤٦



بالٍ، فيه خوفه من الله سبحانه، وتقواه إياه، وإيثاره رضاه على كل شيء، وطاعته له جل شأنه، ثم يتوسل به إلى ربه في دعائه، ليكون أرجى لقبوله وإجابته،وهذا توسل جيد وجميل قد شرعه الله تعالى وارتضاه، ويدل على مشروعيته قوله تعالى: ﴿**الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار**﴾ [آل عمران الآية١٦] وقوله: ﴿**ربنا آمنا بما أنزلت وتبعت الرسول فاكتبا مع الشاهدين**﴾ [آل عمران الآية٥٣] وقوله: ﴿**إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار**﴾ [أل عمران الآية ١٩٣]، وقوله: ﴿**إنه كان فريق من عبادي يقولون: ربنا آمنا فاغفر لنا، وارحمنا، وأنت خير الراحمين**﴾ [المؤمنون الآية١٠٩] ،وأمثال هذه الآيات الكريمات المباركات، وكذلك يدل على مشروعية هذا النوع من التوسل ما رواه بريدة بن الحُصَيب رضي الله عنه في الحديث الصحيح حيث قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يقول: (**اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحداً**)، فقال: ((**قد سأل الله باسمه الأعظم، الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب**)) [1].

ومن ذلك ما تضمنته قصة أصحاب الغار، كما يرويها عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا المبيت إلى غار، فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل، فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم وفي رواية لمسلم: فقال بعضهم لبعض: انظروا إعمالاً عملتموها صالحة لله، فادعوا الله بها، لعل الله يفرجها عنكم، فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان**

---

[1] أبو داود (٤٦٩/١) ، سنن إبن ماجة١٢٦٨/٢، أحمد (٣٤٩/٥ و ٣٥٠)



كبيران وكنت لا أغبُقُ[٢] قبلهما أهلا ولا مالا، فنأى بي طلب شيء وفي رواية لمسلم: الشجر يوماً، فلم أرِحْ عليهما، حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا، فلبثت والقدح على يدي انتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج،وقال الآخر: اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إلي، فأردتها عن نفسها، فامتنعت مني حتى ألمت بها سَنَةٌ[٣] من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومئة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت، حتى إذا قدرت عليها قالت: لا أحل لك أن تفض وفي رواية لمسلم: يا عبد الله اتق الله، ولا تفتح الخاتم إلا بحقه، فتحرجت من الوقوع عليها، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي، وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها،وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجراء، فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره، حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله أدّ لي أجري، فقلت له: كل ما ترى من أجرك، من الإبل والبقر والغنم والرقيق. فقال: يا عبد الله ! لا تستهزئ بي. فقلت: إني لا أستهزئ بك، فأخذه كله، فاستاقه، فلم يترك منه شيئاً. اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون))متفق عليه [١] .

ويتضح من هذا الحديث أن هؤلاء الرجال المؤمنين الثلاثة حينما

---

[٢] – الغبوق: هو الذي يشرب العشي، ومعناه: كنت لا أقدم عليهما في شرب اللبن أهلا ولا غيرهم

[٣] – السنة: العام المقحط الذي لم تنبت الأرض فيه شيئاً، سواء نزل غيث أم لم ينزل

[١] – صحيح البخاري ٢/٧٩٣، صحيح مسلم ٤/٢٠٩٩



اشتد بهم الكرب، وضاق بهم الأمر ويئسوا من أن يأتيهم الفرج من كل طريق إلا طريق الله تبارك وتعالى وحده، فلجأوا إليه، ودعوه بإخلاص واستذكروا أعمالاً لهم صالحة، كانوا تعرفوا فيها إلى الله في أوقات الرخاء، راجين أن يتعرف إليهم ربهم مقابلها في أوقات الشدة، كما ورد في حديث النبي ﷺ الذي فيه: ((**.. تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة**)) [٢] فتوسلوا إليه سبحانه بتلك الأعمال ؛ توسل الأول ببره والديه، وعطفه عليهما، ورأفته الشديدة بهما حتى كان منه ذلك الموقف الرائع الفريد، وما أحسب إنساناً آخر، حاشا الأنبياء . يصل بره بوالديه إلى هذا الحد، وتوسل الثاني بعفته من الزنى بابنة عمه التي أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء بعدما قدر عليها، واستسلمت له مكروهة بسبب الجوع والحاجة، ولكنها ذكرته بالله عز وجل، فتذكر قلبه، وخشعت جوارحه، وتركها والمال الذي أعطاها،وتوسل الثالث بحفاظه على حق أجيره الذي ترك أجرته التي كانت فَرَقاَ [٣] من أرز كما ورد في رواية صحيحة للحديث وذهب، فنماها له صاحب العمل، وثمرها حتى كانت منها الشاه والبقر والإبل والرقيق، فلما احتاج الأجير إلى المال ذكر أجرته الزهيدة عند صاحبه، فجاءه وطالبه بحقه، فأعطاه تلك الأموال كلها، فدهش وظنه يستهزىء به، ولكنه لما تيقن منه الجد، وعرف أنه ثمّر له أجره حتى تجمعت منه تلك الأموال، استساقها فرحاً مذهولاً، ولم يترك منها شيئاً . ووالله إن صنيع رب العمل هذا بالغ حد الروعة في الإحسان إلى العامل، ومحقق المثل الأعلى الممكن في رعايته وإكرامه، مما لا يصل إلى عشر معشاره موقف كل من يدعي نصرة العمال والكادحين، ويتاجر بدعوى حماية الفقراء والمحتاجين، وإنصافهم وإعطائهم حقوقهم، دعا هؤلاء الثلاثة

---

[٢] – مسند أحمد ٣٠٧/١، المستدرك للحاكم ٦٢٣/٣،المعجم الكبير للطبراني ١٢٣/١

[٣] مكيال تقدر سعته بثلاثة آصع.



ربهم سبحانه متوسلين إليه بهذه الأعمال الصالحة أي صلاح، والمواقف الكريمة أي كرم، معلنين أنهم إنما فعلوها ابتغاء رضوان الله تعالى وحده، لم يردوا بها دنيا قريبة أو مصلحة عاجلة أو مالاً، ورجوا الله جل شأنه أن يفرج عنهم ضائقتهم، ويخلصهم من محنتهم، فاستجاب سبحانه دعاءهم، وكشف كربهم، وكان عند حسن ظنهم به، فخرق لهم العادات وأكرمهم بتلك الكرامة الظاهرة، فأزاح الصخرة بالتدرج على مراحل ثلاث، كلما دعا واحد منهم تنفرج بعض الانفراج حتى انفرجت تماماً مع آخر دعوة الثالث بعد أن كانوا في موت محقق. ورسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه يروي لنا هذه القصة الرائعة التي كانت في بطون الغيب، لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى ليذكرنا بأعمال فاضلة مثالية لأناس فاضلين مثاليين من أتباع الرسل السابقين، لنقتدي بهم، ونتأسى بأعمالهم، ونأخذ من أخبارهم الدروس الثمينة، والعظات البالغة،وان الأمة إذا وقعت في مصيبة وجب على الجميع التضرع والدعاء ولايُكتفى بدعاء البعض دون الأخر،ولهذا دعى الثلاثة ولم يُفرج عنهم بدعاء واحد منهم.

وقوله ﷺ فيما رواه عنه البراء بن عازب رضي الله عنه قال :قال رسول الله ﷺ : ((إذا أويت إلى فراشك فقل : اللهم أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت فإن مت من ليلتك مت على الفطرة وإن أصبحت أصبت خيراً))[1]. ومن ذلك ما روي بإسناد صحيح عن هلال الوزان حدثنا عبد الله بن عكيم الجهني رضي الله عنه أحد الصحابة: أنه أرسل إليه الحجاج بن يوسف، فقام فتوضأ ثم صلى ركعتين، ثم قال: (**اللهم**

---

[1] – صحيح البخاري ٢٣٢٧/٥



إنك تعلم أني لم أزن قط، ولم أسرقِ قط، ولم آكل مال يتيم قط، ولم أقذف محصنة قط، إن كنت صادقاً فادرأ عني شره)[٢]، فهذا الصحابي قد توسل بأعماله الصالحة السابقة، ولم يتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم، ولا بأبي بكر وعمر وغيرهما من السابقين الأولين، ولا شك في أن الصحابة رسول الله ﷺ هم أوعية إرث النبوة الخاتمة والقلوب الواعية لهذا العلم الموروث ... وما حبسوا عن الأمة بعد نبيهم أية سنة علموها منه وكانوا في حياتهم العامة والخاصة أمثلة حية صادقة لحياة الرسولﷺ فكانوا في حالهم وقولهم ... الهداة الصادقين الحريصين على تبليغ ما وعوه عن الرسول الكريم في كل شأن من الشؤون الدينية والدنيوية فكانوا القدوة الكاملة للأمة حملة أنفاس الرسول العطرة بالهدى والخير ،فلهذا لم يتوسلوا في دعائهم بالمخلوقين ،بل توسلوا بما عرفوا من رسول الله ﷺ،فرضي الله عنهم وأرضاهم.

الثالث: التوسل إلى الله تعالى بدعاء الرجل الصالح:

كأن يقع المسلم في ضيق شديد، أو تحل به مصيبة كبيرة، ويعلم من نفسه التفريط في جنب الله تبارك وتعالى، فيجب أن يأخذ بسبب قوي إلى الله، فيذهب إلى رجل يعتقد فيه الصلاح والتقوى، أو الفضل والعلم بالكتاب والسنة، فيطلب منه أن يدعوا له ربه، ليفرج عنه كربه، ويزيل عنه همه، فهذا نوع آخر من التوسل المشروع، دلت عليه الشريعة المطهرة، وأرشدت إليه، وقد وردت أمثلة منه في الكتاب العزيز والسنة الشريفة، كما وقعت نماذج منه من فعل الصحابة الكرام رضوان الله

---

[٢] – أخرجه الفسوي في التاريخ: (٢٣١/١)، ومن طريقه الخطيب في تاريخ بغداد: (١٠/٤)، وذكره المزي في تهذيب الكمال: (٣١٨/١٥)، وهلال هو ابن أبي حميد الجهني مولاهم وهو ثقة كما في التقريب (رقم:٧٣٣٣)، وهو قد صرح بالسماع من ابن عكيم فالإسناد صحيح.



تعالى عليهم، فمن ذلك قوله تعالى ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ، قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يوسف ٩٨،٩٧] وهذه آية كريمة توضح أن توسل المؤمن بدعاء أخيه المؤمن له جائز وشرعي وهؤلاء أبناء يعقوب عليه السلام الذين عصوا الله تعالى في معاملة أخيهم يوسف عليه السلام ثم كذبهم على أبيهم بادعائهم أن الذئب أكل أخاهم وليس الأمر كذلك وبعد انكشاف الأمر شعروا بالذنب فهرعوا إلى أبيهم يسألونه أن يستغفر الله لهم وهو النبي الكريم المستجاب الدعوة وقدموا دعاءه الله لهم بالمغفرة وسيلة مقبولة عند الله تعالى، نستنتج من استغفاره لهم صحة ومشروعية طلب الدعاء من الغير أي مشروعية توسل المؤمن بدعاء أخيه المؤمن له وإن ذكر هذه القصة في القرآن فيه إلفات نظرٍ للمؤمنين أن يتأسوا بهم في طلب الدعاء من الغير وإن في ذلك لدليلاً على مشروعيته لأن العقيدة التي جاءت بها الأديان السماوية واحدة لا تتبدل ولا تتغير من لدن آدم إلى محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ،وقوله تعالى﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الفتح الآية١١]، يقول تعالى مخبراً رسوله ﷺ بما يعتذر به المخلفون من الأعراب الذي اختاروا المقام في أهليهم وشغلهم وتركوا السير مع رسول الله ﷺ فاعتذروا بشغلهم بذلك وسألوا الرسول ﷺ أن يستغفر لهم وذلك قول منهم لا على سبيل الاعتقاد بل على وجه التقية والمصانعة ،إنهم وإن كانوا مصانعين في تعللهم بانشغالهم بأموالهم وأهليهم وطلبهم من رسول الله ﷺ أن يستغفر لهم إلا أن هذه المصانعة بطلب الاستغفار لهم تدل على أن هذا الطلب معلوم شرعيته عند رسول الله ﷺ وهذا ما دفعهم إلى طلبه منه ولولا علمهم بشرعية ذلك

لما اتقوا به غضب رسول الله ﷺ ،وثمة دليل آخر مستنبط من هذه الحادثة أن رسول الله ﷺ لم يعترض على طلبهم الاستغفار لهم فدل على شرعية هذا الطلب ولو كان غير شرعي لنهاهم عنه فقبوله طلبهم وعدم نهيهم عنه دليل على شرعيته ولا شك ،وبذلك تثبت مشروعية التوسل إلى الله بدعاء المؤمن لأخيه المؤمن وصحة الاستدلال بهذه الآية عليه وهذا هو المطلوب والله الموفق للصواب،وأما من السنة فما رواه أنس ابن مالك رضي الله عنه حيث قال:(أصاب الناس سنَة على عهد النبي ﷺ، فبينما النبي ﷺ يخطب على المنبر قائماً في يوم الجمعة، قام وفي راوية: دخل أعرابي من أهل البدو من باب كان وجَاه المنبر نحو دار القضاء ورسول الله قائم، فاستقبل رسول الله ﷺ قائماً فقال: يا رسول الله ! هلك المال، وجاع وفي رواية: هلك العيال ومن طريق أخرى: هلك الكُراع، وهلك الشاء وفي أخرى هلكت المواشي، وانقطعت السبل فادعُ الله لنا أن يسقينا وفي أخرى: يغيثنا فرفع يديه يدعو حتى رأيت بياض إبطه: **((اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا))**، ورفع الناس أيديهم معه يدعون، ولم يذكر أنه حوَّل رداءه، ولا استقبل القبلة و لا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة ولا شيئاً، وما بيننا وبين سَلْع من بيت ولا دار وفي رواية: قال أنس: وإن السماء لمثل الزجاجة قال فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت] فوالذي نفسه بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطرَ يتحادر على لحيته ﷺ وفي رواية: فهاجت ريح أنشأت سحاباً، ثم اجتمع، ثم أرسلت السماءُ عزاليها ونزل عن المنبر فصلى فخرجنا نخوض الماس حتى أتينا منازلنا وفي رواية: حتى ما كاد الرجل يصل إلى منزله فمطرنا يومنا ذلك، ومن الغد وبعد الغد، والذي يليه حتى الجمعة الأخرى ما تقلع حتى سالت مثاعب المدينة وفي رواية: فلا والله ما رأينا

الشمس ستاً،وقام ذلك الأعرابي أو غيره وفي رواية: ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبله قائماً فقال: يا رسول الله تهدم البناء وفي رواية: تهدمت البيوت، وتقطعت السبل، وهلكت المواشي وفي طريق: بشَق المسافر، ومُنع الطريق وغرق المال، فادع الله يحبُسه لنا فتبسم النبي ﷺ فرفع يده، فقال: ((**اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على رؤوس الجبال والآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر**)) فما جعل يشير بيده إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت مثل الجوْبَة، وفي رواية: فنظرت إلى السحاب تصدع حول المدينة يميناً وشمالاً كأنه إكليل وفي أخرى: فانْجابَتْ عن المدينة انجياب الثوب يمطر ما حولينا ولا يمطر فيها شيء وفي طريق:قطرة وخرجنا نمشي في الشمس يريهم الله كرامة نبيه ﷺ وإجابة دعوته وسال الوادي قناة شهراً، ولم يجيء أحد من ناحية إلا حدث بالجود)[1].

ومن ذلك ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أيضاً أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيُسقَون[2].

قال الشيخ الألباني:{ومعنى قول عمر: إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ وإنا نتوسل إليك بعم نبينا، أننا كنا نقصد نبينا ﷺ ونطلب منه أن يدعو لنا، ونتقرب إلى الله بدعائه، والآن وقد انتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى، ولم يعد من الممكن أن يدعو لنا، فإننا نتوجه إلى عم نبينا العباس، ونطلب منه أن يدعوَ لنا، وليس معناه أنهم كانوا يقولون في

---

[1] – صحيح البخاري ٣٤٤/١، صحيح مسلم٦١٢/٢،موطأ مالك٦٧/٢،سنن النسائي١٦١/٣،صحيح ابن خزيمة١٤٤/٣،سنن البيهقي الكبرى١٥٤/٣

[2]– صحيح البخاري٣٤٢/١، ١٣٦٠/٣



دعائنهم: (اللهم بجاه نبيك اسقنا)، ثم أصبحوا يقولون بعد وفاته ﷺ: (اللهم بجاه العباس اسقنا)، لأن مثل هذا دعاء مبتدع ليس له أصل في الكتاب ولا في السنة، ولم يفعله أحد من السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم، كما سيأتي الكلام على ذلك بشيء من البسط قريباً إن شاء الله تعالى}[٣].

ومن ذلك أيضاً ما رواه الحافظ ابن عساكر رحمه الله تعالى في "تاريخه" بسند صحيح عن التابعي الجليل سليم ابن عامر الخبَائري: (أن السماء قحطت، فخرج معاوية بن أبي سفيان وأهل دمشق يستسقون، فلما قعد معاوية على المنبر، قال: أين يزيد بن الأسود الجُرَشي؟ فناداه الناس، فأقبل يتخطى الناس، فأمره معاوية فصعد على المنبر، فقعد عند رجليه، فقال معاوية: اللهم إنا نستشفع إليك اليوم بخيرنا وأفضلنا، اللهم إنا نستشفع إليك اليوم بيزيد بن الأسود الجرشي، يا يزيد ارفع يديك إلى الله، فرفع يديه، ورفع الناس أيديهم، فما كان أوشك أن ثارت سحابة في الغرب كأنها ترس، وهبت لها ريح، فسقتنا حتى كاد الناس أن لا يبلغوا منازلهم)[١]، وروى ابن عساكر أيضاً بسند صحيح أن الضحاك بن قيس خرج يستسقي بالناس فقال ليزيد بن الأسود أيضاً: قم يا بكاء! زاد في رواية: (فما دعا إلا ثلاثاً حتى أمطروا مطراً كادوا يغرقون منه)[٢].

فهذا معاوية رضي الله عنه أيضاً لا يتوسل بالنبي ﷺ، لما سبق بيانه، وإنما يتوسل بهذا الرجل الصالح يزيد ين الأسود رحمه الله تعالى، فيطلب منه أن يدعو الله تعالى، ليسقيهم ويغيثهم، ويستجيب الله تبارك وتعالى طلبه، وحدث مثل هذا في ولاية الضحاك بن قيس أيضاً، ولا يشترط في هذا

---

(٣) – ينظر: التوسل أنواعه وأحكامه ص ٣٣

(١) – تاريخ دمشق للحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر الدمشقي١٨/١٥١

(٢) – المصدر السابق نفسه



أن يكون المطلوب منه أفضل من الطالب، فقد طلب عمر رضي الله عنه ومعه السابقون الأولون من العباس بن عبد المطلب الاستسقاء، ومما لا شك فيه أن عمر أفضل من العباس رضي الله عن الجميع، بل قد طلب رسول الله ﷺ من أمته الدعاء فيما رواه عنه عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : ((**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة**))[٣]، فهذا رسول الله وأفضل خلقه وأشرفهم وأعلاهم منزلة يتوسل إلى الله تعالى بدعاء أمته له أن يعطيه الوسيلة والمقام المحمود في الجنة وكافأ من يعينه على ذلك بالدعاء أن تحل له شفاعته فيفوز بالجنة معه عليه أفضل الصلاة والسلام ، وهذا هو ﷺ يطلب من عمر رضي الله عنه أن يدعو له وهذا دليل آخر على شرعية التوسل بدعاء المؤمن لأخيه المؤمن وكل ذلك ولا شك تعليم لنا حتى نقتدي به ﷺ فقد رُوي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : إستأذنت النبي ﷺ في العمرة فأذن وقال:((**لا تنسنا يا أخي من دعائك**)) ،فقال كلمة ما يسرني أن لي بها الدنيا[١] ، وفي رواية : قال ((**أشركنا يا أخي في دعائك**)) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

ومما سبق نخلص إلى أن التوسل المشروع الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وجرى عليه عمل السلف الصالح، وأجمع عليه المسلمون وهو:

١ – التوسل بإسم من أسماء الله تبارك وتعالى أو صفة من صفاته.

٢ – التوسل بعمل صالح قام به الداعي.

---

[٣] – صحيح مسلم ٢٢٨/١،سنن أبي داود ١٩٩/١،سنن الترمذي ٥٨٦/٥،سنن النسائي ٢٥/٢

[١] – سنن الترمذي ٥٥٩/٥،سنن أبي داود ٤٧٠/١ ،سنن البيهقي الكبرى ٢٥١/٥



٣ – التوسل بدعاء رجل صالح حي.

وأما ما عدا هذه الأنواع من التوسلات ففيه خلاف، والذي نعتقده وندين الله تعالى به أنه غير جائز، ولا مشروع، لأنه لم يرد فيه دليل، تقوم به الحجة ، وقد أنكره العلماء المحققون في العصور الإسلامية المتعاقبة، ولم نعثر لمجيزي التوسل بذوات المخلوقين على دليل صحيح يعتد به، ونحن نطالبهم بأن يأتونا بنص صحيح صريح من الكتاب أو السنة فيه التوسل بمخلوق، وهيهات أن يجدوا شيئاً يؤيد ما يذهبون إليه، أو يسند ما يدعونه، اللهم إلا شبهاً واحتمالات، سنعرض للرد عليها في المبحث الثالث، فلو استعرضنا الأدعية الواردة في القرآن الكريم وهي كثيرة، لا نجد في شيء منها التوسل بالجاه أو الحرمة أو الحق أو المكانة لشيء من المخلوقات، وإذا انتقلنا إلى السنة الشريفة لنطلع منها على أدعية النبي ﷺ التي ارتضاها الله تعالى له، وعلمه إياها، وأرشدنا إلى فضلها وحسنها، نراها مطابقة لما في أدعية القرآن من حيث خلوها من التوسل المبتدع المشار إليه، ولله الحمد والمنة.

المبحث الثالث:الرد على شبهات وأغاليط المجوزين للتوسل الممنوع

وفيه مطلبان:

يورد المجوزون بالتوسل بالمخلوقين بعض الاعتراضات والشبهات، لدعم رأيهم الخاطىء، ويوهموا العامة بصحته، ويلبسوا الأمر عليهم، ويكررون أدلة يحتجون بها على ذلك وهي على نوعين:الأول صحيح لكنه لايدل على مرادهم وما ذهبوا إليه .

والثاني أدلة واهية يغلب عليها الكذب أو شدة الضعف أو النكارة، وسننقل رد أهل العلم على بعض هذه الشبهات رداً علمياً مقنعاً إن شاء الله، يقنع كل مخلص منصف، ويدحض كل افتراء على عقيدة السلف الصالح بالباطل، وبالله تعالى التوفيق، وهو المستعان.



المطلب الأول:احتجاجهم بالآيات القرآنية

١ - قوله تعالى﴿**فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ [البقرة الآية٣٧]،وتفسيرهم لهذه الكلمات ما روي انهﷺ قال: ((**لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا ربِ أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال: يا آدم ! وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال: يا رب لما خلقتني بيدك، ونفخت فيَّ من روحك رفعت رأسي، فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضِف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال: غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتُك**))[١]، وهذا حيث باطل،قال **الإمام الذهبي** في تعقيبه على الحاكم في قوله صحيح الإسناد:(**قلت بل موضوع، وعبد الرحمن واهٍ، وعبد الله بن أسلم الفهري لا أدري من ذا**)[٢]، وقال الشيخ الألباني: (والفهري هذا أورده الذهبي في "الميزان" وساق له هذا الحديث وقال: خبر باطل، وكذا قال الحافظ ابن حجر في "اللسان" ٣/٣٦٠ وزاد عليه قوله في الفهري هذا: لا أستبعد أن يكون هو الذي قبله فإنه من طبقته قلت: والذي قبله هو عبد الله بن مسلم بن رُشيد، قال الحافظ: ذكره ابن حبان، **متهم بوضع الحديث، يضع على الليث ومالك وابن لهيعة، لا يحل كتب حديثه**، وهو الذي روى عن ابن هدية نسخة كأنها معمولة،قلت: والحديث رواه الطبراني في "المعجم الصغير": ثنا محمد بن داود بن أسلم الصدفي المصري: ثنا أحمد ابن سعيد المدني الفهري: ثنا عبد الله بن إسماعيل المدني عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم به، وهذا سند مظلم فإن كل من دون عبد الرحمن لا يعرفون، وقد أشار إلى ذلك الحافظ الهيثمي حيث قال في "مجمع الزوائد" ٨/٢٥٣: رواه الطبراني في الأوسط والصغير وفيه من لم أعرفهم.قلت: وهذا إعلال

---

[١]- المستدرك للحاكم٢/٦٧٢،المعجم الصغير للطبراني٢/١٨٢

[٢] - المستدرك ٢/٦٧٢



قاصر، يوهم من لا علم عنده أن ليس فيهم من هو معروف بالطعن فيه، وليس كذلك فإن مداره على عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وقال البيهقي: **إنه تفرد به وهو متهم بالوضع، رماه بذلك الحاكم نفسه**، ولذلك أنكر العلماء عليه تصحيحه لحديثه، ونسبوه إلى الخطأ والتناقض)[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:(ورواية الحاكم لهذا الحديث مما أنكر عليه، فإنه نفسه قد قال في كتاب "المدخل إلى معرفة الصحيح من السقيم"٢/٦١٥: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة، لا تخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه [٢]، قلت وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف باتفاقهم يغلط كثيراً ، ضعفه أحمد بن حنبل وأبو زرعة وأبو حاتم والنسائي والدارقطني، وغيرهم. وقال ابن حبان: كان يقلب الأخبار وهو لا يعلم حتى كثر ذلك من روايته من رفع المراسيل، وإسناد الموقوف، فاستحق الترك ، وأما تصحيح الحاكم لمثل هذا الحديث وأمثاله، فهذا مما أنكره عليه أئمة العلم بالحديث وقالوا: إن الحاكم يصحح أحاديث وهي موضوعة مكذوبة عند أهل المعرفة بالحديث)[٣] .

وقال الشيخ الألباني أيضا:(لقد تبين للقراء الكرام مما سلف أن للحديث علتين:الأولى: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وأنه ضعيف جداً،الثانية: جهالة الإسناد إلى عبد الرحمن، وللحديث عندي علة أخرى، وهي اضطراب عبد الرحمن أو من دونه في إسناده، فتارة كان

---

[١] – التوسل أنواعه وأحكامه ص٩٠

[٢]: نقل هذا الكلام عن الحاكم وابن حبان أيضاً الحافظ ابن عبد الهادي في "الصارم المنكي" ص٢٩ والحافظ ابن حجر في "التهذيب".وقال عنه في التقريب ١/٣٤٠ انه ضعيف.

[٣]– قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية ص١١٤، وينظر العلل لابن أبي حاتم(٢٦٥/١)، والجرح والتعديل (٢٣٣/٥، ٢٣٤).

يرفعه كما مضى، وتارة كان يرويه موقوفاً على عمر، لا يرفعه إلى النبي ﷺ، كما رواه أبو بكر الآجري في كتاب "الشريعة" ص٤٢٧ من طريق عبد الله ابن اسماعيل بن أبي مريم عن عبد الرحمن بن زيد به، وعبد الله هذا لم أعرفه أيضاً، فلا يصح عن عمر مرفوعاً ولا موقوفاً، ثم رواه الآجري من طريق آخر عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه أنه قال: من الكلمات التي تاب الله بها على آدم قال: اللهم أسألك بحق محمد عليك.. الحديث نحوه مختصراً، وهذا مع إرساله ووقفه، فإن إسناده إلى ابن أبي الزناد ضعيف جداً، وفيه عثمان بن خالد والد أبي مروان العثماني، قال النسائي: ليس بثقة، وعلى هذا فلا يبعد أن يكون أصل هذا الحديث من الإسرائليات التي تسربت إلى المسلمين من بعض مسلمة أهل الكتاب أو غير مسلمتهم. أو عن كتبهم التي لا يوثق بها، لما طرأ عليها من التحريف والتبديل كما بينه شيخ الإسلام في كتبه، ثم رفعه بعض هؤلاء الضعفاء إلى النبي ﷺ خطأ أو عمداً)[١].

فالحديث إذن باطل مردود عند أهل العلم لان حديث عبد الرحمن بن زيد هذا موضوع عند الحاكم نفسه، وأن من يرويه بعد العلم بحاله فهو أحد الكاذبَيْن، وقد اتفق عند التحقيق كلام الحفاظ ابن تيمية والذهبي والعسقلاني على بطلان هذا الحديث، وتبعهم على ذلك غير واحد من المحققين كالحافظ ابن عبد الهادي ، فلا يجوز لمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصحح الحديث بعد اتفاق هؤلاء على وضعه تقليداً للحاكم في أحد قوليه، مع اختياره في قوله الآخر لطالب العلم أن لا يكتب حديث عبد الرحمن هذا، وأنه إن فعل كان أحد الكاذبين، ومع هذا فان تفسيرهم الآية بهذا الحديث يناقض تفسير الآية كما تواتر عند المفسرين فقد روى مجاهد وسعيد بن

---

[١] – ينظر: التوسل أنواعه وأحكامه ص٩٢



جبير وأبو العالية والربيع بن أنس والحسن وقتادة ومحمد بن كعب القرظي وخالد معدان وعطاء الخراساني أن هذه الكلمات التي تلقاها آدم من ربه هي قوله تعالى :﴿ **قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين** ﴾*،[الأعراف ٢٣].

ومن القواعد المهمة في الشريعة الإسلامية أن النصوص الشرعية يفسر بعضها بعضاً، ولا يفهم شيء منها في موضوع ما بمعزل عن بقية النصوص الواردة فيه،والله اعلم .

٢ - قوله تعالى﴿ **وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ** ﴾ [البقرة الآية٨٩]

يفسرونها بما جاء في الحديث الذي يروى عن عبد الملك بن هارون بن عنترة عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كانت يهود خيبر تقاتل غطفان فكلما التقوا هُزمت يهود فعاذت بهذا الدعاء: **اللهم إنا نسألك بحق محمد النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم، فكانوا إذا دعوا بهذا الدعاء هزموا غطفان**، فلما بعث النبي ﷺ كفروا به، فأنزل الله تعالى: ﴿ **وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ** ﴾.

وهذا الحديث رواه الحاكم في مستدركه(١)، وقال:(أدت الضرورة إلى إخراجه وهو غريب من حديثه). وهذا مما أنكره عليه العلماء، فإن عبد الملك بن هارون من أضعف الناس، وهو عند أهل العلم بالرجال متروك بل كذاب.

قال شيخ الإسلام: (عبد الملك بن هارون بن عنترة من المعروفين

---

* - ينظر تفسير ابن كثير ٢٣٨/١ ،وتفسير الطبري٥٤٣/١،وتفسير البغوي٨٥/١

(١) -(٢٦٣/٢) ، قال الذهبي في التعليق على هذا النص: قلت: لا ضرورة في ذلك، فعبد الملك متروك هالك.



بالكذب، قال يحيى بن معين: هو كذاب[(١)]. وقال السعدي دجال كذاب[(٢)]. وقال أبوحاتم بن حبان: يضع الحديث[(٣)]. وقال النسائي: متروك. وقال البخاري: منكر الحديث. وقال أحمد بن حنبل: ضعيف[(٤)]. وقال ابن عدي: له أحاديث لا يتابعه عليها أحد[(٥)]. وقال الدارقطني: هو وأبوه ضعيفان ، وقال الحاكم في كتاب المدخل ١٧٠/١: عبدالملك بن هارون بن عنترة الشيباني روى عن أبيه أحاديث موضوعة،وأخرجه أبوالفرج ابن الجوزي في كتاب الموضوعات[(٦)])[(٧)].

والنقل الثابت عند أهل التفسير، وعليه يدل القرآن فإنه قال تعالى: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ ﴾، والاستفتاح الاستنصار، وهو طلب الفتح والنصر، فطلب الفتح والنصر به هو أن يُبعث فيقاتلونهم معه، فبهذا ينصرون، ليس هو بإقسامهم به وسؤالهم به، إذ لو كان كذلك لكانوا إذا سألوا أو أقسموا به نصروا، ولم يكن الأمر كذلك،بل لما بعث الله محمداً ﷺ نصر الله من آمن به وجاهد معه على من خالفه، قال أبو العالية[(٨)] وغيره: كان اليهود إذا استنصروا بمحمد ﷺ على مشركي العرب يقولون: اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده مكتوباً

---

(١) – التأريخ لابن معين (٣٧٦/٢) في الترتيب، الترجمة (١٦٨٨).

(٢) – أحوال الرجال (ص ٦٨)، رقم (٧٧)

(٣) – كتاب المجروحين (١٣٣/٢).

(٤) – العلل ومعرفة الرجال (٣٨٤/١).

(٥) –الكامل (١٩٤٢/٥)

(٦) –(١٧٤/٣ – ١٧٥) بإسناده إلى مجاهد عن ابن مسعود مرفوعاً. وقال عقبه: هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ والمتهم به عمر بن الصبح، قال ابن حبان: يضع الحديث على الثقات، فلعله سقط من المطبوع، وأورده السيوطي في اللآلئ (٣٥٧/٢)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (٣٢٢/٢)، وعزواه إلى أبي الشيخ في كتاب الثواب. وقال السيوطي وتابعه ابن عراق: عبد الملك دجال مع ما في السند من الإعضال

(٧) – قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية ص١١٢

(٨) – ينظر تفسير ابن جرير الطبري(٤١١/١).



عندنا حتى نغلب المشركين ونقتلهم، فلما بعث الله محمداً ورأوا أنه من غيرهم كفروا به حسداً للعرب، وهم يعلمون أنه رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآيات: ﴿**فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾، وروى محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري عن رجال من قومه قالوا: مما دعانا إلى الإسلام - مع رحمة الله وهداه - ما كنا نسمع من رجال يهود، وكنا أهل شرك، أصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس عندنا، وكانت لاتزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا: قد تقارب زمان نبي يبعث الآن فنقتلكم معه قتل عاد وإرَم. كثيراً ما كنا نسمع ذلك منهم، فلما بعث الله محمداً رسولاً من عند الله أجبناه حين دعانا إلى الله وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به، فبادرناهم إليه فآمنا به وكفروا به، ففينا وفيهم نزل هؤلاء الآيات التي في البقرة: ﴿**ولما جاءهم كتابٌ من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين**﴾[1].ولم يذكر ابن أبي حاتم وغيره ممن جمع كلام مفسري السلف إلا هذا. ولم يذكر فيه السؤال به عن أحد من السلف، بل ذكروا الأخبار به، أو سؤال الله تعالى أن يبعثه.والله اعلم

٣ - قوله تعالى﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا**﴾ [النساء الآية٦٤]يحتجون بهذه الآية الكريمة لجواز الذهاب إلى قبر الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام والتوسل به،قال شيخ الإسلام:(ومعلوم أنه لو كان طلب دعائه وشفاعته واستغفاره عند قبره مشروعاً، لكان الصحابة والتابعون لهم بإحسان أعلم بذلك

---

[1] - ينظر السيرة لابن هشام (٢١١/١). وتفسير ابن جرير الطبري(٤١٠/١)



وأسبق إليه من غيرهم، ولكان أئمة المسلمين يذكرون ذلك. وما أحسن ما قال مالك: لا يُصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها،... ولم يبلغني عن أولِ هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك. فمثل هذا الإمام كيف يُشرع ديناً لم يُنقل عن أحد من السلف، ويأمر الأمة بأن يطلبوا الدعاء والشفاعة والاستغفار بعد موت الأنبياء والصالحين منهم عند قبورهم، وهو أمر لم يفعله أحد من سلف الأمة؟ ...وأيضاً فإن طلب شفاعته ودعائه واستغفاره بعد موته وعند قبره ليس مشروعاً عند أحد من أئمة المسلمين، ولا ذكر هذا أحد من الأئمة الأربعة وأصحابهم القدماء، وإنما ذكر هذا بعض المتأخرين)[١].

قال ابن جرير الطبري في تفسيرها: (يعني بذلك جل ثناؤه: ولو أن هؤلاء المنافقين الذين وصف صفتهم في هاتين الآيتين، الذين إذا دعوا إلى حكم الله وحكم رسوله صدّوا صدودًا ،"إذ ظلموا أنفسهم"، باكتسابهم إياها العظيم من الإثم في احتكامهم إلى الطاغوت، وصدودهم عن كتاب الله وسنة رسوله إذا دعوا إليها " **جَاءُوكَ** "، يا محمد، حين فعلوا ما فعلوا من مصيرهم إلى الطاغوت راضين بحكمه دون حكمك، جاؤوك تائبين منيبين، فسألوا الله أن يصفح لهم عن عقوبة ذنبهم بتغطيته عليهم، وسأل لهم اللهَ رسولهُ صلى الله عليه وسلم مثل ذلك، وذلك هو معنى قوله:"فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول". وأما قوله:"لوجدوا الله توابًا رحيمًا"، فإنه يقول: لو كانوا فعلوا ذلك فتابوا من ذنبهم "لوجدوا الله توابًا"، يقول: راجعًا لهم مما يكرهون إلى ما يحبون "رحيمًا" بهم، في تركه عقوبتهم على ذنبهم الذي تابوا منه.وقال مجاهد: عُنِي بذلك اليهوديُّ والمسلم اللذان تحاكما إلى كعب بن الأشرف)[٢]، هؤلاء هم الذين نزلت في حقهم

---

[١] – ينظر قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية ص١١١

[٢] – ينظر تفسير الطبري ٥١٧/٨



هذه الآية فقال عز من قائل : ﴿ **ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم** ﴾ أي ظلموها بنفاقهم وعدم متابعتك (جاءوك) أي جاءوك تائبين من نفاقهم (واستغفروا الله) أي دللوا على توبتهم من نفاقهم بأن جاءوك واستغفروا الله في مجلسك وأمامك (واستغفر لهم الرسول) أي سألوك أن تستغفر لهم بالإضافة إلى استغفارهم إن فعلوا ذلك عن إيمانٍ وإخلاص (لوجدوا الله تواباً رحيماً) أي وجدوه قابلاً لتوبتهم غافراً لذنوبهم رحيماً بهم فأي علاقة لمعنى هذه الآية بما استشهدوا واحتجوا بها على صحة وجواز التوسل إلى الله تعالى بذوات المخلوقين ...؟! واحتجوا بحكاية عن محمد العتبي أنه قال: دخلت المدينة، فأتيت قبر النبي ﷺ، فزرته وجلست بحذائه، فجاء أعرابي فزاره، ثم قال: ياخير الرسل إن الله أنزل عليك كتاباً صادقاً، قال فيه: ﴿**ولو أنهم إذْ ظلموا أنفسهم**﴾**إلى قوله:** ﴿**رحيماً**﴾ وإني جئتك مستغفراً ربك من ذنوبيٍ مستشفعاً بك، وفي رواية؛ وقد جئتك مستغفرا من ذنبي، مستشفعا بك إلى ربي، ثم بكى، وأنشأ يقول:

ياخير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم استغفر وانصرف، قال: فرقدت، فرأيت النبي ﷺ في نومي وهو يقول: **إلحق بالرجل، وبشره بأن الله غفر له بشفاعتي،** فاستيقظت، فخرجت أطلبه، فلم أجده. قال الحافظ ابن عبد الهادي في الصارم المنكي: (وهذه الحكاية التي ذكرها – يعني السبكي – بعضهم يرويها عن العتبي بلا إسناد، وبعضهم يرويها عن محمد بن حرب الهلالي، وبعضهم يرويها عن محمد بن حرب بلا إسناد، عن أبي الحسن الزعفراني عن الأعرابي وقد ذكرها البيهقي في كتاب شعب الإيمان بإسناد مظلم عن محمد بن روح بن يزيد البصري حدثني أبو حرب الهلالي ويرويها بنحو ما تقدم وقد وضع لها بعض الكذابين إسناداً إلى على بن أبي طالب رضي الله عنه



وفي الجملة ليست هذه الحكاية المذكورة عن الأعرابي مما تقوم به حجة على مطلوب المعترض ، ولا يصلح الاحتجاج بمثل هذه الحكاية ، ولا الاعتماد على مثلها عند أهل العلم وبالله التوفيق)[١]، فما دام أنها ليست من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ولا فعل خلفائه الراشدين، وصحابته المكرمين، ولا من فعل التابعين، والقرون المفضلة، وإنما هي مجرد حكاية عن مجهول نقلت بسند ضعيف، فكيف يحتج بها في عقيدة التوحيد، الذي هو أصل الأصول، وكيف يحتج بها وهي تعارض الأحاديث الصحيحة التي نهي فيها عن الغلو في القبور، والغلو في الصالحين عموما، وعن الغلو في قبره، والغلو فيه صلى الله عليه وسلم خصوصا، وأما من نقلها من العلماء أو استحسنها فليس ذلك بحجة تعارض بها النصوص الصحيحة وتخالف من أجلها عقيدة السلف، فقد يخفى على بعض العلماء ما هو واضح لغيرهم، وقد يخطئون في نقلهم ورأيهم، وتكون الحجة مع من خالفهم،وما دمنا قد علمنا طريق الصواب، فلا شأن لنا بما قاله فلان أو حكاه فلان، فليس ديننا مبنيا على الحكايات والمنامات، وإنما هو مبني على البراهين الصحيحة.والله اعلم

المطلب الثاني:احتجاجهم بالأحاديث النبوية الشريفة

أولا - احتجاجهم بالأحاديث الصحيحة ومنها

١ - حديث استسقاء سيدنا عمر بالعباس رضي الله عنهما

يحتجون على جواز التوسل بجاه الأشخاص وحرمتهم وحقهم بحديث انس بن مالك رضي الله عنه: (**أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قَحَطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا، فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. قال:**

[١]– ينظر الصارم المنكي لابن عبد الهادي ص٢١٢



فيسقون)[٢]. فيفهمون من هذا الحديث أن توسل عمر رضي الله عنه إنما كان بجاه العباس رضي الله عنه، ومكانته عند الله سبحانه، وأن توسله كأنه مجرد ذكر منه للعباس في دعائه، وطلب منه لله أن يسقيهم من أجله، وقد أقره الصحابة على ذلك، فأفاد بزعمهم ما يدعون.

والواقع خلاف ما يدّعون فمعنى قول عمر: إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ وإنا نتوسل إليك بعم نبينا، أننا كنا نقصد نبينا ﷺ ونطلب منه أن يدعو لنا، ونتقرب إلى الله بدعائه، والآن وقد انتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى، ولم يعد من الممكن أن يدعو لنا، فإننا نتوجه إلى عم نبينا العباس، ونطلب منه أن يدعوَ لنا، وليس معناه أنهم كانوا يقولون في دعائنهم: (اللهم بجاه نبيك اسقنا)، ثم أصبحوا يقولون بعد وفاته ﷺ: (اللهم بجاه العباس اسقنا)، لأن مثل هذا دعاء مبتدع ليس له أصل في الكتاب ولا في السنة، ولم يفعله أحد من السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم.

قال الشيخ الألباني: {لقد فسرت بعض روايات الحديث الصحيحة كلام عمر المذكور وقصده، إذ نقلت دعاء العباس رضي الله عنه استجابة لطلب عمر رضي الله عنه، فمن ذلك ما نقله الحافظ العسقلاني رحمه الله في "الفتح" ٣/١٥٠ حيث قال: (قد بين الزبير بن بكار في "الأنساب" صفة ما دعا به العباس في هذه الواقعة، والوقت الذي وقع فيه ذلك، فأخرج بإسناد له أن العباس لما استسقى به عمر قال: [**اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يكشف إلا بتوبة، وقد توجّه القوم بي إليك لمكاني من نبيك، وهذا أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا إليك بالتوبة، فاسقنا الغيث**]، **قال: فأرخت السماء مثل الجبال حتى**

---

[٢] - صحيح البخاري ٤/٩٩



أخصبت الأرض، وعاش الناس).وفي هذا الحديث أولاً: التوسل بدعاء العباس رضي الله عنه لا بذاته كما بينه الزبير بن بكار وغيره، وفي هذا رد واضح على الذين يزعمون أن توسل عمر كان بذات العباس لا بدعائه، إذ لو كان الأمر كذلك لما كان ثمة حاجة ليقوم العباس، فيدعو بعد عمر دعاءً جديداً.

ثانياً: أن عمر صرح بأنهم كانوا يتوسلون بنبينا ﷺ في حياته، وأنه في هذه الحادثة توسل بعمه العباس، ومما لا شك فيه أن التوسلين من نوع واحد: توسلهم بالرسول ﷺ وتوسلهم بالعباس، وإذ تبين للقارىء – مما يأتي – أن توسلهم به ﷺ إنما كان توسلاً بدعائه ﷺ فتكون النتيجة أن توسلهم بالعباس إنما هو توسل بدعائه أيضاً، بضرورة أن التوسليْن من نوع واحد،أما أن توسلهم به ﷺ إنما كان توسلاً بدعائه، فالدليل على ذلك صريح رواية الإسماعيلي في مستخرجه على الصحيح لهذا الحديث بلفظ: (كانوا إذ قحطوا على عهد النبي ﷺ استسقوا به، فيستسقي لهم، فيسقون، فلما كان في إمارة عمر...) فذكر الحديث، نقلته من "الفتح" ٢/٣٩٩، فقوله: (فيستسقي لهم) صريح في أنه ﷺ كان يطلب لهم السقيا من الله تعالى ففي "النهاية" لابن الأثير: (الاستسقاء، استفعال من طلب السقيا أي إنزال الغيث على البلاد والعباد، يقال: سقى الله عباده الغيث وأسقاهم، والاسم السقيا بالضم، واستقيت فلاناً إذا طلبت منه أن يسقيك)،إذا تبين هذا، فقوله في هذه الرواية (استسقوا به) أي بدعائه، وكذلك قوله في الرواية الأولى: (كنا نتوسل إليك بنبينا)، أي بدعائه، لا يمكن أن يفهم من مجموع رواية الحديث إلا هذا، ويؤيده:

ثالثاً: لو كان توسل عمر إنما هو بذات العباس أو جاهه عند الله تعالى، لما ترك التوسل به ﷺ بهذا المعنى، لأن هذا ممكن لو كان مشروعاً، فعدول عمر عن هذه إلى التوسل بدعاء العباس رضي الله عنه



أكبر دليل على أن عمر والصحابة الذين كانوا معه كانوا لا يرون التوسل بذاته ﷺ، وعلى هذا جرى عمل السلف من بعدهم، كما رأيت في توسل معاوية بن أبي سفيان والضحاك ابن قيس بيزيد بن الأسود الجرشي، وفيهما بيان دعائه بصراحة وجلاء. فهل يجوز أن يجمع هؤلاء كلهم على ترك التوسل بذاته ﷺ لو كان جائزاً، سيّما والمخالفون يزعمون أنه أفضل من التوسل بدعاء العباس وغيره؟! اللهم إن ذلك غير جائز ولا معقول، بل إن هذا الإجماع منهم من أكبر الأدلة على أن التوسل المذكور غير مشروع عندهم، فإنهم أسمى من أن يستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير !}[1].

أما إدعاؤهم أن سيدنا عمر رضي الله عنه توسل بالجاه فلا وجود له إطلاقاً في السنة النبوية الشريفة، وفي عمل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، ولا يستطيع أحد ان يأتي بدليل يثبت أن طريقة توسلهم كانت بأن يذكروا في أدعيتهم اسم النبي ﷺ، ويطلبوا من الله بحقه وقدره عنده ما يريدون، بل الذي نجده بكثرة، وتطفح به كتب السنة هو الأمر الثاني وهو التوسل المشروع الذي أمرهم به ﷺ، إذ تبين أن طريقة توسل الأصحاب الكرام بالنبي ﷺ إنما كانت إذا رغبوا في قضاء حاجة، أو كشف نازلة أن يذهبوا إليه ﷺ، ويطلبوا منه مباشرة أن يدعو لهم ربه، أي أنهم كانوا يتوسلون إلى الله تعالى بدعاء الرسول الكريم ﷺ ليس غير،كما ذكرنا في النوع الثالث من التوسل المشروع وهو التوسل بدعاء الرجل الصالح .

قال شيخ الإسلام:(ودعا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في الاستسقاء المشهور بين المهاجرين والأنصار وقوله: اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا، يدل على أن

---

[1]- ينظر : التوسل أنواعه وأحكامه ص٤٩وما بعدها



التوسل المشروع عندهم هو التوسل بدعائه وشفاعته لا السؤال بذاته، إذ لو كان هذا مشروعاً لم يعدل عمر والمهاجرون والأنصار عن السؤال بالرسول إلى السؤال بالعباس)[1].

وقال الشيخ الألباني:(إن تعليلهم لعدول عمر رضي الله عنه عن التوسل بالنبي ﷺ إلى التوسل بالعباس رضي الله عنه بأنه لبيان جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل هو تعليل مضحك وعجيب،إذ كيف يمكن أن يخطر في بال عمر رضي الله عنه، أو في بال غيره من الصحابة الكرام رضي الله عنهم تلك الحذلقة الفقهية المتأخرة، وهو يرى الناس في حالة شديدة من الضنك والكرب، والشقاء والبؤس، يكادون يموتون جوعاً وعطشاً لشح الماء وهلاك الماشية، وخلو الأرض من الزرع والخضرة حتى سمي ذاك العام بعام الرمادة، كيف يَرِد في خاطره تلك الفلسفة الفقهية في هذا الظرف العصيب، فيدع الأخذ بالوسيلة الكبرى في دعائه، وهي التوسل بالنبي الأعظم ﷺ، لو كان ذلك جائزاً ويأخذ بالوسيلة الصغرى، التي لا تقارن بالأولى، وهي التوسل بالعباس، لماذا؟ لا لشيء إلا ليبين للناس أنه يجوز لهم التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل !!إن الشاهد والمعلوم أن الإنسان إذ حلّت به شدة يلجأ إلى أقوى وسيلة عنده في دفعها، ويدَع الوسائل الأخرى لأوقات الرخاء، وهذا كان يفهمه الجاهليون المشركون أنفسهم، إذ كانوا يَدعون أصنامهم في أوقات اليسر، ويتركونها ويدْعون الله تعالى وحده في أوقات العسر، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ **فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ** ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، فنعلم من هذا أن الإنسان بفطرته يستنجد بالقوة العظمى والوسيلة الكبرى حين الشدائد والفواقر، وقد

---

[1] – قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية ص٧٦



يلجأ إلى الوسائل الصغرى حين الأمن واليسر، وقد يخطر في باله حينذاك أن يبين ذلك الحكم الفقهي الذي افترضوه، وهو جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل. وأمر آخر نقوله جواباً على شبهة أولئك، وهو: هب أن عمر رضي الله عنه خطر في باله أن يبين ذلك الحكم الفقهي المزعوم، ترى فهل خطر ذلك في بال معاوية والضحاك بن قيس حين توسلا بالتابعي الجليل: يزيد بن الأسود الجُرَشي أيضاً؟ لا شك أن هذا ضرب من التمحل والتكلف لا يحسدون عليه)[1].

ومما سبق علمنا لماذا عدل أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه عن التوسل بالنبي ﷺ إلى التوسل بالعباس رضي الله عنه، مع العلم ان العباس مهما كان شأنه ومقامه فإنه لا يذكر أمام شأن النبي ﷺ ومقامه، فعدوله إلى عمه لأن التوسل بالنبي ﷺ غير ممكن بعد وفاته، فأنى لهم أن يذهبوا إليه ﷺ ويشرحوا له حالهم، ويطلبوا منه أن يدعو لهم، ويؤمنوا على دعائه، وهو قد انتقل إلى الرفيق الأعلى، وأضحى في حال يختلف عن حال الدنيا وظروفها مما لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، فأنى لهم أن يحظوا بدعائه ﷺ وشفاعته فيهم، وبينهم وبينه كما قال الله عز شأنه: ﴿ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾ [المؤمنون:١٠٠].

ولذلك لجأ عمر رضي الله عنه، وهو العربي الأصيل الذي صحب النبي ﷺ ولازمه في أكثر أحواله، وعرفه حق المعرفة، وفهم دينه حق الفهم، ووافقه القرآن في مواضع عدة، لجأ إلى توسل ممكن فاختار العباس رضي الله عنه، لقرابته من النبي ﷺ من ناحية، ولصلاحه ودينه وتقواه من ناحية أخرى، وطلب منه أن يدعو لهم بالغيث والسقيا، وما كان لعمر رضي الله عنه ولا لغيره أن يدع التوسل بالنبي ﷺ، ويلجأ إلى التوسل بالعباس أو غيره لو كان التوسل بالنبي ﷺ ممكناً، وما كان من

[1] – ينظر: التوسل أنواعه وأحكامه ص٤٧



المعقول ان يقر الصحابة رضوان الله عليهم عمر على ذلك أبداً، لأن الانصراف عن التوسل بالنبي ﷺ إلى التوسل بغيره ما هو إلا كالانصراف عن الاقتداء بالنبي ﷺ في الصلاة إلى الاقتداء بغيره، سواء بسواء، ذلك أن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم كانوا يعرفون قدر نبيهم ﷺ ومكانته وفضله معرفة لا يدانيهم فيها أحد، كما نرى ذلك واضحاً في الحديث الذي رواه سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: (أن رسول الله ﷺ ذهب إلى بني عمرو بن عوف ليصلح بينهم، فحانت الصلاة، فجاء المؤذن إلى أبي بكر، فقال: أتصلي بالناس، فأقيم؟ قال: فصلى أبو بكر، فجاء رسول الله ﷺ والناس في الصلاة، فتخلص حتى وقف في الصف، فصفق الناس، وكان أبو بكر لا يلتفت في الصلاة، فلما أكثر الناس التصفيق التفت، فرأى رسول الله ﷺ، فأشار إليه رسول الله ﷺ أن أمكث مكانك، فرفع أبو بكر يديه، فحمد الله عز وجل على ما أمره به رسول الله ﷺ من ذلك، ثم استأخر أبو بكر حتى استوى في الصف، وتقدم النبي ﷺ فصلى ثم انصرف، فقال: ((**يا أبا بكر: ما منعك أن تثبت إذ أمرتك؟**)) قال أبو بكر: ما كان لابن أبي قحافة أن يصلي بين يدي رسول الله ﷺ)[١].

فالصحابة رضي الله عنهم لم يستسيغوا الاستمرار على الاقتداء بأبي بكر رضي الله عنه في صلاته عندما حضر الرسول ﷺ، كما أن أبا بكر رضي الله عنه لم تطاوعه نفسه على الثبات في مكانه مع أمر النبي ﷺ له بذلك، لماذا؟ كل ذلك لتعظيمهم نبيهم ﷺ، وتأدبهم معه، ومعرفتهم حقه وفضله، فإذا كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم لم يرتضوا الاقتداء بغير النبي ﷺ عندما أمكن ذلك، مع أنهم كانوا قد بدأوا الصلاة في غيابه ﷺ عنهم، فكيف يتركون التوسل به ﷺ أيضاً

---

[١]- صحيح البخاري ٢٤٢/١،صحيح مسلم ٣١٦/١



بعد وفاته، لو كان ذلك ممكناً، ويلجئون إلى التوسل بغيره؟ وكما لم يقبل ابوبكر أن يؤم المسلمين فمن البديهي أن لا يقبل العباس أيضاً أن يتوسل الناس به، ويدعوا التوسل بالنبي ﷺ لو كان ذلك ممكناً، فالحديث حجة على مجوزي التوسل الممنوع لا لهم ولله الحمد .

٢ - **حديث الضرير**

عن عثمان بن حنيف ﷺ أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ، فقال:(ادع الله أن يعافيني. قال: ((**إن شئت دعوت لك، وإن شئت أخّرتُ ذاك، فهو خير**))، وفي رواية: ((**وإن شئتَ صبرتَ فهو خير لك**)) ، فقال: ادعهُ. فأمره أن يتوضأ، فيحسن وضوءه، فيصلي ركعتين، ويدعو بهذا الدعاء: **اللهم إني أسألك، وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني توجهتُ بك إلى ربي في حاجتي هذه، فتقضى لي، اللهم فشفّعه فيَّ وشفّعني فيه**، قال: ففعل الرجل فبرأ)[1] .

يرى بعضهم: أن هذا الحديث يدل على جواز التوسل في الدعاء بجاه النبي ﷺ أو غيره من الصالحين، إذ فيه أن النبي ﷺ علم الأعمى أن يتوسل به في دعائه، وقد فعل الأعمى ذلك فعاد بصيراً.

والمتأمل فيه يرى ان هذا الحديث لا حجة لهم فيه على التوسل الممنوع، وهو التوسل بالذات، بل هو دليل آخر على النوع الثالث من أنواع التوسل المشروع الذي أسلفناه، لأن توسل الأعمى إنما كان بدعائه ﷺ، ولو أن دعاء الأعمى الذي علمه إياه رسول الله ﷺ دعاء ينفع لكل زمان ومكان ولكل واحد لما رأينا أعمى على وجه البسيطة إذاً لهرع كل أعمى إلى الدعاء به لكي يرتد بصيراً حتى ولو لم يكن مسلماً لدعا به أيضاً ليرتد بصيراً ويصبح هذا الدعاء الدواء الشافي من العمى بل ولقضاء كل حاجة .

---

[1]–سنن الترمذي ٥٦٩/٥،سنن النسائي الكبرى١٦٩/٦،مسند أحمد ١٣٨/٤،المستدرك ٤٥٨/١



قال الشيخ الألباني:{ والأدلة على ما نقول من الحديث نفسه كثيرة، وأهمها:

أولاً: أن الأعمى إنما جاء إلى النبي ﷺ ليدعو له، وذلك قوله: (أدعُ الله أن يعافيني) فهو توسل إلى الله تعالى بدعائه ﷺ، لأنه يعلم أن دعاءه ﷺ أرجى للقبول عند الله بخلاف دعاء غيره، ولو كان قصد الأعمى التوسل بذات النبي ﷺ أو جاهه أو حقه لما كان ثمة حاجة به إلى أن يأتي النبي ﷺ، ويطلب منه الدعاء له، بل كان يقعد في بيته، ويدعو ربه بأن يقول مثلاً:(اللهم إني أسألك بجاه نبيك ومنزلته عندك أن يشفيني، وتجعلني بصيراً). ولكنه لم يفعل، لماذا؟ لأنه عربي يفهم معنى التوسل في لغة العرب حق الفهم، ويعرف أنه ليس كلمة يقولها صاحب الحاجة، يذكر فيها اسم الموسَّل به، بل لابد أن يشتمل على المجيء إلى من يعتقد فيه الصلاح والعلم بالكتاب والسنة، وطلب الدعاء منه له.

ثانياً: أن النبي ﷺ وعده بالدعاء مع نصحه له ببيان ما هو الأفضل له، وهو قوله ﷺ: ((**إن شئت دعوتُ، وإن شئت صبرت فهو خير لك**))، وهذا الأمر الثاني هو ما أشار إليه ﷺ في الحديث الذي رواه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: ((**إذا ابتليتُ عبدي بحبيبتيه – أي عينيه – فصبر، عوضته منهما الجنة**))[1].

ثالثاً: إصرار الأعمى على الدعاء وهو قوله: (فادع) فهذا يقتضي أن الرسول ﷺ دعا له، لأنه ﷺ خير من وفى بما وعد، وقد وعده بالدعاء له إن شاء كما سبق، فقد شاء الدعاء وأصر عليه، فإذن لا بد أنه ﷺ دعا له، فثبت المراد، وقد وجه النبي ﷺ الأعمى بدافع من رحمته، وبحرص منه أن يستجيب الله تعالى دعاءه فيه، وجهه إلى النوع الثاني من

---

[1] – صحيح البخاري٥/٢١٤٠



التوسل المشروع، وهو التوسل بالعمل الصالح، ليجمع له الخير من أطرافه، فأمره أن يتوضأ ويصلي ركعتين ثم يدعو لنفسه وهذه الأعمال طاعة لله سبحانه وتعالى يقدمها بين يدي دعاء النبي ﷺ له، وهي تدخل في قوله تعالى: ﴿**وابتغوا إليه الوسيلة**﴾ كما سبق،وهكذا فلم يكتف الرسول ﷺ بدعائه للأعمى الذي وعده به، بل شغله بأعمال فيها طاعة لله سبحانه وتعالى وقربة إليه، ليكون الأمر مكتملاً من جميع نواحيه، وأقرب إلى القبول والرضا من الله سبحانه وتعالى، وعلى هذا، فالحادثة كلها تدور حول الدعاء – كما هو ظاهر – وليس فيها ذكرٌ شيء مما يزعمون....

رابعاً: أن في الدعاء الذي علمه رسول الله ﷺ إياه أن يقول: ((**اللهم فشفعه في**)) وهذا يستحيل حمله على التوسل بذاته ﷺ، أو جاهه، أو حقه، إذ أن المعنى: اللهم اقبل شفاعته ﷺ في، أي اقبل دعائه في أن ترد عليَّ بصري، والشفاعة لغة الدعاء، وهو المراد بالشفاعة الثابتة له ﷺ ولغيره من الأنبياء والصالحين يوم القيامة، وهذا يبين أن الشفاعة أخص من الدعاء، إذ لا تكون إلا إذا كان هناك اثنان يطلبان أمراً، فيكون أحدهما شفيعاً للآخر، بخلاف الطالب الواحد الذي لم يشفع غيره، قال في "لسان العرب": (الشفاعة كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره، والشافع الطالب لغيره، يتشفع به إلى المطلوب، يقال شفعت بفلان إلى فلان، فشفعني فيه)[1]، فثبت بهذا الوجه أيضاً أن توسل الأعمى إنما كان بدعائه ﷺ لا بذاته.

خامساً: إن مما علم النبي ﷺ الأعمى أن يقوله: ((**وشفعني فيه**)) أي اقبل شفاعتي، أي دعائي في أن تقبل شفاعته ﷺ، أي دعاءه في أن ترد علي بصري. هذا الذي لا يمكن أن يفهم من هذه الجملة سواه، ولهذا

---

[1] – ينظر: لسان العرب لابن منظور الأفريقي ١٨٣/٨



ترى المخالفين يتجاهلونها ولا يتعرضون لها من قريب أو من بعيد، لأنها تنسف بنيانهم من القواعد، وتجتثه من الجذور، وإذا سمعوها رأيتهم ينظرون إليك نظر المغشي عليه.ذلك أن شفاعة الرسول ﷺ في الأعمى مفهومة، ولكن شفاعة الأعمى في الرسول ﷺ كيف تكون؟ لا جواب لذلك عندهم البتة. ومما يدل على شعورهم بأن هذه الجملة تبطل تأويلاتهم أنك لا ترى واحداً منهم يستعملها، فيقول في دعائه مثلاً: اللهم شفع فيَّ نبيك، وشفعني فيه.

سادساً: إن هذا الحديث ذكره العلماء في معجزات النبي ﷺ ودعائه المستجاب، وما أظهره الله ببركة دعائه من الخوارق والإبراء من العاهات، فإنه بدعائه ﷺ لهذا الأعمى أعاد الله عليه بصره، ولذلك رواه المصنفون في "دلائل النبوة" كالبيهقي وغيره، فهذا يدل على ان السر في شفاء الأعمى إنما هو دعاء النبي ﷺ. ويؤيده كل من دعا به من العميان مخلصاً إليه تعالى، منيباً إليه قد عوفي، بل على الأقل لعوفي واحد منهم، وهذا ما لم يكن ولعله لا يكون أبداً، كما أنه لو كان السر في شفاء الأعمى أنه توسل بجاه النبي ﷺ وقدره وحقه، كما يفهم عامة المتأخرين، لكان من المفروض أن يحصل هذا الشفاء لغيره من العميان الذين يتوسلون بجاهه ﷺ، بل ويضمون إليه أحياناً جاه جميع الأنبياء المرسلين، وكل الأولياء والشهداء والصالحين، وجاه كل من له جاه عند الله من الملائكة، والإنس والجن أجمعين! ولم نعلم ولا نظن أحداً قد علم حصول مثل هذا خلال القرون الطويلة بعد وفاته ﷺ إلى اليوم.

إذا تبين للقارىء الكريم ما أوردناه من الوجوه الدالة على أن حديث الأعمى إنما يدور حول التوسل بدعائه ﷺ، وأنه لا علاقة له بالتوسل بالذات، فحينئذ يتبين له أن قول الأعمى في دعائه: (اللهم إني أسألك، وأتوسل إليك بنبيك محمد ﷺ) إنما المراد به: أتوسل إليك بدعاء نبيك، أي على حذف المضاف، وهذا أمر معروف في اللغة، كقوله



تعالى: ﴿**واسأل القرية التي كنا فيها، والعير التي اقبلنا فيها**﴾ أي أهل القرية وأصحاب العير، ونحن والمخالفون متفقون على ذلك، أي على تقدير مضاف محذوف، وهو مثل ما رأينا في دعاء عمر وتوسله بالعباس، فإما أن يكون التقدير: إني أتوجه إليك بـ (جاه) نبيك، ويا محمد إني توجهت بـ (ذات) ك أو (مكانت) ك إلى ربي كما يزعمون، وإما أن يكون التقدير: إني أتوجه إليك بـ (دعاء) نبيك، ويا محمد إني توجهت بـ (دعاء) ك إلى ربي كما هو قولنا، ولا بد لترجيح احد التقديرين من دليل يدل عليه. فأما تقديرهم (بجاهه) فليس لهم عليه دليل لا من هذه الحديث ولا من غيره، إذ ليس في سياق الكلام ولا سباقه تصريح أو إشارة لذكر الجاه أو ما يدل عليه إطلاقاً، كما أنه ليس عندهم شيء من القرآن أو من السنة أو من فعل الصحابة يدل على التوسل بالجاه، فيبقى تقديرهم من غير مرجح، فسقط من الاعتبار، والحمد لله.

وثمة أمر آخر جدير بالذكر، وهو أنه لو حمل حديث الضرير على ظاهره، وهو التوسل بالذات لكان معطلاً لقوله فيما بعد: (اللهم فشفعه في، وشفعني فيه) وهذا لا يجوز كما لا يخفى، فوجب التوفيق بين هذه الجملة والتي قبلها. وليس ذلك إلا على ما حملناه من أن التوسل كان بالدعاء، فثبت المراد، وبطل الاستدلال به على التوسل بالذات، والحمد لله. على أنني أقول: لو صح أن الأعمى إنما توسل بذاته ﷺ، فيكون حكماً خاصاً به ﷺ، لا يشاركه فيه غيره من الأنبياء والصالحين، وإلحاقهم به مما لا يقبله النظر الصحيح، لأنه ﷺ سيدهم وأفضلهم جميعاً، فيمكن أن يكون هذا مما خصه الله به عليهم ككثير مما صح به الخبر، وباب الخصوصيات لا تدخل فيه القياسات، فمن رأى أن توسل الأعمى كان بذاته لله، فعليه أن يقف عنده، ولا يزيد عليه كما نقل عن الإمام أحمد والشيخ العز بن عبد السلام رحمهما



الله تعالى، هذا هو الذي يقتضيه البحث العلمي مع الإنصاف، والله الموفق للصواب.}[١].

قال شيخ الإسلام:(وحديث الأعمى حجة لعمر رضي الله عنه وعامة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، فإنه إنما أمر الأعمى أن يتوسل إلى الله بشفاعة النبي ﷺ ودعائه لا بذاته، وقال له في الدعاء: "قل اللهم شفعه فيَّ"، وإذا قدر أن بعض الصحابة أمر غيره أن يتوسل بذاته لا بشفاعته ولم يأمر بالدعاء المشروع بل ببعضه وترك سائره المتضمن للتوسل بشفاعته، كان ما فعله عمر بن الخطاب هو الموافق [السنة] رسول الله ﷺ، وكان المخالف لعمر محجوجاً بسنة رسول الله ﷺ، وكان الحديث الذي رواه عن النبي ﷺ حجة عليه لا له. والله أعلم)[٢].

قال الشيخ محمد نسيب الرفاعي:(ولعل سائلاً يسأل : من أين علمت أن رسول الله قد دعا له ... ؟ بينما الحديث خلو من هذا العلم ... ولم يقل دعا له رسول الله ﷺ الجواب :نعم أن الحديث لم يخبرنا نصاً بأن رسول الله ﷺ قد دعا له ... ولكن هذا مفهوم ولا شك من الحديث نفسه .

١ – إن الرسول ﷺ قد وعده بالدعاء ووعده حق وصدق .

٢ – قول الأعمى في آخر الدعاء : اللهم شفعه في أي يدعو الله تعالى أن يقبل شفاعة رسول الله فيه فلولا أن يكون قد شفع فيه لما دعا الأعمى أن يتقبل شفاعته ﷺ فلا بد إذن من أن رسول الله دعا له وشفع له عند الله تعالى أن يرد عليه بصره وإلا فأي شفاعة يدعو الأعمى أن يتقبلها الله ... وممن يتقبلها ...؟

٣ – وفي رواية الترمذي : ((**وشفعني فيه**)) أي وأقبل شفاعتي بقبولك شفاعة رسول الله فيّ أي كمن يقول آمين عندما ينتهي الإمام من

(١) – ينظر: التوسل أنواعه وأحكامه ص٥٥-٦٠

(٢) – ينظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية ص١٤٢



قراءة فاتحة الكتاب في الصلاة ، أي استجب دعاء الإمام فينا بقوله : (اهدنا الصراط المستقيم) .

وكذلك الأعمى يقول : شفعني في قبول شفاعة رسول الله فيّ ... فإذا كان رسول الله ﷺ لم يدع له فكيف يقول : شفعني في قبول [دعائه] فيّ لأن الهاء من قوله:((**وشفعني فيه**)) ضمير متصل تقديره هو عائد على الرسول ﷺ ،كل هذا ... يدل دلالة قاطعة جازمة على أن رسول الله ﷺ قد دعا للأعمى وشفع فيه عند الله أن يرد إليه بصره ولا شك أن دعاء رسول الله مستجاب وقد استجاب الله له في الأعمى فرد إليه بصره وهو على كل شيء قدير ،وهذا عثمان بن حنيف رضي الله عنه يحدثنا : فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا كأنه لم يكن به ضر)[1] ، وبهذا تبين ان الحديث حجة عليهم لا لهم ولله الحمد.

ثانيا - احتجاجهم بالأحاديث الضعيفة والموضوعة ومنها

١ - عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم رضي الله عنها أم علي بن أبي طالب رضي الله عنه دعا أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلاماً أسود يحفرون... فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ، فاضطجع فيه فقال: ((**الله الذي يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، اغفر لأمي فاطمة بنت أسد، ولقنها حجتها، ووسع مدخلها بحق نبيك، والأنبياء الذين من قبلي، فإنك أرحم الراحمين...**))[2]. وإسناده ضعيف، لأن روح بن صلاح قد تفرد به، ، وروح ضعفه ابن عدي ، وقال ابن يونس: رويت عنه مناكير، وقال الدارقطني ضعيف في الحديث وقال ابن ماكولا: ضعفوه وقال ابن عدي بعد أن أخرج له حديثين: له أحاديث كثيرة، في بعضها نكرة ،فقد اتفقوا على

---

[1]- ينظر: التوصل إلى حقيقة التوسل، للشيخ محمد نسيب الرفاعي ص١١٢

[2]- المستدرك٣/١١٦وضعفه الذهبي في التلخيص،المعجم الكبير ٢٤/٣٥١ والاوسط١/٦٧



تضعيفه فكان حديثه منكراً لتفرده به[٣].قال الشيخ الألباني:(وقد ذهب بعضهم إلى تقوية هذا الحديث لتوثيق ابن حبان والحاكم لروح هذا، ولكن ذلك لا ينفعهم، لما عرفا به من التساهل في التوثيق، فقولهما عند التعارض لا يقام له وزن حتى لو كان الجرح مبهماً، فكيف مع بيانه كما هي الحال هنا، وقد فصلت الكلام على ضعف هذا الحديث في "السلسلة الضعيفة" فلا نعيد الكلام عليه في هذه العجالة..... وقد ذكرنا من ضعف رواية روح بن صلاح الذي تفرد به، وهذا يستلزم ضعف حديثه كما لا يخفى إلا عند المتابعة وقد نفاها أبو نعيم، أو عند مجيئه من طريق آخر وهيهات! ثم قالوا: ولو فرض تضعيفه، فضعفه خفيف فلا يمنع جواز العمل، لأنه من باب ما جوزه المحدثون والفقهاء من العمل بالضعيف الذي ليس ضعفه بشديد في الترغيب والترهيب. قلت: ليس في هذا الحديث شيء من الترغيب، ولا هو يبين فضل عمل ثابت في الشرع، إنما هو ينقل أمراً دائراً بين أن يكون جائزاً أو غير جائز، فهو إذن يقرر حكماً شرعياً لو صح، وأنتم إنما توردونه من الأدلة على جواز هذا التوسل المختلف فيه، فإذا سلمتم بضعفه لم يجز لكم الاستدلال به، وما أتصور عاقلا يوافقكم على إدخال هذا الحديث في باب الترغيب والترهيب، وهذا شأن من يفر من الخضوع للحق، يقول ما لا يقوله جميع العقلاء)[١].

٢ - عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف :(أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له، فكان عثمان لا يلتفت إليه، ولا ينظر في حاجته فلقي عثمان بن حنيف، فشكا ذلك إليه، فقال له عثمان: إئت الميضأة، فتوضأ، ثم ائت المسجد، فصل فيه ركعتين، ثم قل: **اللهم إني أسألك وأتوجه إليك**

---

[٣]- ينظر: الكامل في ضعفاء الرجال،لابن عدي الجرجاني٣/١٤٦.

[١]- ينظر: التوسل أنواعه وأحكامه ص٨٢



بنبينا محمدﷺ نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك عز وجل، فقضي لي حاجتي، وتذكر حاجتك، ورح إليَّ حتى أروح معك، فانطلق الرجل فصنع ما قال، ثم أتى باب عثمان رضي الله عنه فجاء البواب حتى أخذ بيده، فأدخله عليه، فأجلسه معه على الطنفسة، وقال:ما حاجتك؟ فذكر حاجته، فقضاها له، ثم قال له: ما ذكرت حاجتك حتى كانت هذه الساعة، وقال: ما كانت لك من حاجة فأتنا، ثم إن الرجل خرج من عنده، فلقي عثمان بن حنيف، فقال له: جزاك الله خيراً، ما كان ينظر في حاجتي، ولا يلتفت إلي حتى كلمته في، فقال عثمان بن حنيف:والله ما كلمته،ولكن شهدت رسول الله ﷺ وأتاه ضرير....الخ)[1] قال الشيخ الألباني:﴿ هذه القصة التي تفرد بها شبيب بن سعيد كما قال الطبراني، وشبيب هذا متكلم فيه، وخاصة في رواية ابن وهب عنه، لكن تابعه عنه إسماعيل وأحمد ابنا شبيب بن سعيد هذا، أما اسماعيل فلا أعرفه، ولم أجد من ذكره، ولقد أغفلوه حتى لم يذكروه في الرواة عن أبيه، بخلاف أخيه أحمد فإنه صدوق، وأما أبوه شبيب فملخص كلامهم فيه: أنه ثقة في حفظه ضعف، إلا في رواية ابنه أحمد هذا عنه عن يونس خاصة فهو حجة، فقال الذهبي في "الميزان": (صدوق يغرب، ذكره ابن عدي في "كامله" فقال..له نسخة عن يونس بن يزيد مستقيمة، حدث عنه ابن وهب بمناكير، قال ابن المديني: كان يختلف في تجارة إلى مصر، وكتابه صحيح قد كتبته عن ابنه أحمد. قال ابن عدي: كان شبيب لعله يغلط ويهم إذ حدث من حفظه، وأرجو أنه لا يتعمد، فإذا حدث عنه ابنه أحمد بأحاديث يونس فكأنه يونس آخر. يعني يجوِّد)[2].

فهذا الكلام يفيد أن شبيباً هذا لا بأس بحديثه بشرطين اثنين: الأول:

---

[1] – المعجم الكبير ٩/٣٠والصغير ١/ ٣٠٦ للطبراني

[2] – ميزان الاعتدال في نقد الرجال الإمام الذهبي ٤/١٤٣



ان يكون من رواية ابنه أحمد عنه، والثاني: أن يكون من رواية شبيب عن يونس، والسبب في ذلك أنه كان عنده كتب يونس بن يزيد، كما قال ابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل" عن أبيه ٢/٣٥٩، فهو إذا حدث من كتبه هذه أجاد، وإذا حدث من حفظه وهو كما قال ابن عدي، وعلى هذا فقول الحافظ في ترجمته من "التقريب": (لا بأس بحديثه من رواية ابنه أحمد عنه، لا من رواية ابن وهب)[٣] فيه نظر، لأنه أوهم أنه لا بأس بحديثه من رواية أحمد مطلقاً، وليس كذلك، بل هذا مقيد بأن يكون من روايته هو عن يونس لما سبق، ويؤيده أن الحافظ نفسه أشار لهذا القيد، فإنه أورد شبيباً هذا في "من طعن فيه من رجال البخاري" من "مقدمة فتح الباري" ص١٣٣ ثم دفع الطعن عنه – بعد أن ذكر من وثقه وقول ابن عدي فيه – بقوله: (قلت: أخرج البخاري من رواية ابنه عنه عن يونس أحاديث، ولم يخرج من روايته عن غير يونس، ولا من رواية ابن وهب عنه شيئاً). فقد أشار رحمه الله بهذا الكلام إلى أن الطعن قائم في شبيب إذا كانت روايته عن غير يونس، ولو من رواية ابنه أحمد عنه، وهذا هو الصواب كما بينته آنفاً، وعليه يجب أن يحمل كلامه في "التقريب" توفيقاً بين كلاميه، ورفعاً للتعارض بينهما،إذا تبين هذا يظهر لك ضعف هذه القصة، وعدم صلاحية الاحتجاج بها. ثم ظهر لي فيها علة أخرى وهي الاختلاف على أحمد فيها، فقد أخرج الحديث ابن السني في "عمل اليوم والليلة" ص٢٠٢ والحاكم ١/٥٢٦ من ثلاثة طرق عن أحمد بن شبيب بدون القصة، وكذلك رواه عون بن عمارة البصري ثنا روح ابن القاسم به، أخرجه الحاكم، وعون هذا وإن كان ضعيفاً، فروايته أولى من رواية شبيب، لموافقتها لرواية شعبة وحماد بن سلمة عن أبي جعفر

---

[٣] – تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني ١/٢٦٣



الخطمي.وخلاصة القول: إن هذه القصة ضعيفة منكرة، لأمور ثلاثة: ضعف حفظ المتفرد بها، والاختلاف عليه فيها، ومخالفته للثقات الذين لم يذكروها في الحديث، وأمر واحد من هذه الأمور كاف لإسقاط هذه القصة، فكيف بها مجتمعة؟ ومن عجائب التعصب واتباع الهوى أن الشيخ الغماري أورد روايات هذه القصة في "المصباح" ص١٢و١٧ من طريق البيهقي في "الدلائل" والطبراني، ثم لم يتكلم عليها مطلقاً لا تصحيحاً ولا تضعيفاً، والسبب واضح، أما التصحيح فغير ممكن صناعة، وأما التضعيف فهو الحق ولكن...ونحو ذلك فعل من لم يوفق في "الإصابة"، فإنهم أوردوا ص٢١ -٢٢ الحديث بهذه القصة، ثم قالوا: (وهذا الحديث صححه الطبراني في "الصغير" و"الكبير")! وفي هذا القول على صغره جهالات:

أولاً: أن الطبراني لم يصحح الحديث في "الكبير" بل في "الصغير" فقط، وأنا نقلت الحديث عنه للقارئين مباشرة، لا بالواسطة كما يفعل أولئك، لقصر باعهم في هذا العلم الشريف (ومن ورد البحر استقل السواقيا).

ثانياً: أن الطبراني إنما صحح الحديث فقط دون القصة، بدليل قوله وقد سبق: (قد روى الحديث شعبة...والحديث صحيح) فهذا نص على أنه أراد حديث شعبة، وشعبة لم يرو هذه القصة، فلم يصححها إذن الطبراني، فلا حجة لهم في كلامه.

ثالثاً: أن عثمان بن حنيف لو ثبتت عنه القصة لم يُعَلِّم ذلك الرجل فيها دعاء الضرير بتمامه، فإنه أسقط منه جملة ((اللهم شفعه في وشفعني فيه)) لانه يفهم بسليقته العربية أن هذا القول يستلزم أن يكون النبي ﷺ داعياً لذلك الرجل، كما كان داعياً للأعمى، ولما كان



هذا منفياً بالنسبة للرجل، لم يذكر هذه الجملة؟ [١] قال شيخ الإسلام:(ومعلوم أن الواحد بعد موته ﷺ إذا قال: اللهم فشفعه في وشفعني فيه – مع أن النبي ﷺ لم يدعُ له – كان هذا كلاماً باطلاً، مع أن عثمان بن حنيف لم يأمره ان يسأل النبي ﷺ شيئاً، ولا أن يقول: ((**فشفعه في**))، ولم يأمره بالدعاء المأثور على وجهه، وإنما أمره ببعضه، وليس هناك من النبي ﷺ شفاعة، ولا ما يظن أنه شفاعة، فلو قال بعد موته: ((**فشفعه في**)) لكان كلاماً لا معنى له، ولهذا لم يأمر به عثمان، والدعاء المأثور عن النبي ﷺ لم يأمر به، والذي أمر به ليس مأثوراً عن النبي ﷺ، ومثل هذا لا تثبت به شريعة، كسائر ما ينقل عن آحاد الصحابة في حسن العبادات أو الإباحات أو الايجابات أو التحريمات، إذ لم يوافقه غيره من الصحابة عليه، وكان ما يثبت عن النبي ﷺ يخالفه ولا يوافقه، لم يكن فعله سنة يجب على المسلمين اتباعها، بل غايته ان يكون ذلك مما يسوغ فيه الاجتهاد، ومما تنازعت فيه الأمة، فيجب رده إلى الله والرسول)[٢]، ثم ذكر أمثلة كثيرة مما تفرد به بعض الصحابة، ولم يتبع عليه مثل إدخال ابن عمر الماء في عينيه في الوضوء ونحو ذلك فراجعه، ثم قال: (وإذا كان في ذلك كذلك، فمعلوم أنه إذا ثبت عن عثمان بن حنيف أو غيره أنه جعل من المشروع المستحب أن يتوسل بالنبي ﷺ بعد موته من غير أن يكون النبي ﷺ داعيا له، ولا شافعاً فيه فقد علمنا أن عمر وأكابر الصحابة لم يروا هذا مشروعاً بعد مماته كما كان يشرع في حياته، بل كانوا في الاستسقاء في حياته ﷺ يتوسلون فلما مات لم يتوسلوا به، بل قال عمر في دعائه الصحيح المشهور الثابت باتفاق أهل العلم بمحضر من المهاجرين والأنصار في عام الرمادة المشهور، لما اشتد بهم الجدب حتى

---

[١]- ينظر: التوسل أنواعه وأحكامه ص٦٨-٧٢

[٢]- ينظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية ص١٣٥



حلف عمر: لا يأكل سميناً حتى يخصب الناس، ثم لما استسقى بالناس قال: اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. فيسقون. وهذا دعاء أقره عليه جميع الصحابة، ولم ينكره أحد مع شهرته، وهو من أظهر الإجماعات الإقرارية، ودعا بمثله معاوية بن أبي سفيان في خلافته، فلو كان توسلهم بالنبي ﷺ بعد مماته كتوسلهم في حياته لقالوا: كيف نتوسل بمثل العباس ويزيد بن الأسود ونحوهما، ونعدل عن التوسل بالنبي ﷺ الذي هو أفضل الخلائق، وهو أفضل الوسائل وأعظمها عند الله؟ فلما لم يقل ذلك أحد منهم، وقد علم أنهم في حياته إنما توسلوا بدعائه وشفاعته، وبعد مماته توسلوا بدعاء غيره، وشفاعة غيره علم أن المشروع عندهم التوسل بدعاء المتوسل به، لا بذاته)[1].

هذا، وفي القصة جملة إذا تأمل فيها العاقل العارف بفضائل الصحابة وجدها من الأدلة الأخرى على نكارتها وضعفها، وهي أن الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه كان لا ينظر في حاجة ذلك الرجل، ولا يلتفت إليه! فكيف يتفق هذا مع ما صح عن النبي ﷺ أن الملائكة تستحي من عثمان، ومع ما عرف به رضي الله عنه من رفقه بالناس، وبره بهم، ولينه معهم؟ هذا كله يجعلنا نستبعد وقوع ذلك منه، لأنه ظلم يتنافى مع شمائله رضي الله عنه وأرضاه،والقصة المزعومة خالية من شرطين مهمين وهما التوسل بدعاء النبي ﷺ واستلزام ذلك في حياته ﷺ وأي رواية من هذا القبيل خلت من هذين الشرطين أو كليهما فهي مردودة.

٣ - حديث الخروج الى المسجد:عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً:((**من خرج من بيته إلى الصلاة، فقال: اللهم إني أسألك بحق السائلين**

[1] - ينظر: المصدر السابق ص١٤٢



عليك، وأسألك بحق ممشاي هذا، فإني لم أخرج أشراً ولا بطراً...أقبل الله عليه بوجهه))[١]. وإسناده ضعيف لأنه من رواية عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري، وعطية ضعيف قال الذهبي: (مجمع على ضعفه)[٢]، قال الحافظ ابن حجر: (تابعي معروف ضعيف مشهور بالتدليس القبيح)[٣]، يقصد الحافظ تدليس الشيوخ وهو أن يأتي الرواي باسم شيخه أو لقبه على خلاف المشهور به تعمية لأمره، وقد صرحوا بتحريم هذا النوع إذا كان شيخه غير ثقة، فدلسه لئلا يعرف حاله، أو أوهم أنه رجل آخر من الثقات على وفق اسمه أو كنيته،ولهذا وصفه بالقبيح. وخلاصة ذلك أن عطية هذا كان يروي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، فلما مات جالس أحد الكذابين المعروفين، بالكذب في الحديث وهو الكلبي، فكان عطية إذا روى عنه كناه أبا سعيد، فيتوهم السامعون منه أنه يريد أبا سعيد الخدري! وهذا وحده يسقط عدالة عطية هذا، فكيف إذا انضم إلى ذلك سوء حفظه،قال عبد الله ابن الإمام احمد بن حنبل:(سمعت أبي ذكر عطية العوفي فقال هو ضعيف الحديث قال أبي بلغني أن عطية كان يأتي الكلبي فيأخذ عنه التفسير وكان يكنيه بأبي سعيد فيقول قال أبو سعيد وكان هشيم يضعف حديث عطية)[٤] .

قال البوصيري:(هذا إسناد مسلسل بالضعفاء: عطية وفضيل بن

---

(١) – سنن ابن ماجة ٢٥٦/١،مسند أحمد ٢١/٣

(٢) –ينظر: ميزان الاعتدال للذهبي ٣ /٧٩، والضعفاء ٨٨/١، الضعفاء والمتروكين للنسائي ١ /٨٥، مجمع الزوائد للهيثمي٢٣٦/٥

(٣) – طبقات المدلِسين للحافظ ابن حجر العسقلاني ص١٨

(٤) – ينظر: العلل ومعرفة الرجال للامام احمد بن حنبل٥٤٨/١،المجروحين لابي حاتم ابن حبان البستي ٢٥٣/٣، تهذيب التهذيب لابن حجر ٢٠١/٧



مرزوق والفضل بن الموفق كلهم ضعفاء)[٥]، قال الشيخ ناصر الدين الألباني بعد أن وضح ضعف الحديث توضيحاً علمياً ورد شبه من أراد أن يقويه: (ثم بدا لي وجه ثالث في تضعيف الحديث، وهو اضطراب عطية أو ابن مرزوق في روايته حيث إنه رواه تارة مرفوعاً كما تقدم، وأخرى موقوفاً على أبي سعيد، كما رواه ابن أبي شيبة في المصنف عن ابن مرزوق به موقوفاً. وفي رواية البغوي عن ابن فضيل قال: أحسبه قد رفعه، وقال ابن أبي حاتم في العلل (١٨٤/٢): موقوف أشبه)[١]. وقد روي من طريق آخر وهو ضعيف[٢] أيضاً، ولفظه لا حجة فيه فإن حق السائلين عليه أن يجيبهم وحق العابدين أن يثيبهم، وهو حق أحقه الله تعالى على نفسه الكريمة بوعده الصادق باتفاق أهل العلم، تفضلا ومنّة، قال الألباني:(ومع كون هذين الحديثين ضعيفين فهما لا يدلان على التوسل بالمخلوقين أبداً، وإنما يعودان إلى أحد أنواع التوسل المشروع الذي تقدم الكلام عنه، وهو التوسل إلى الله تعالى بصفة من صفاته عز وجل، لأن فيهما التوسل بحق السائلين على الله وبحق ممشى المصلين. فما هو حق السائلين على الله تعالى؟، لا شك أنه إجابة دعائهم، وإجابة الله دعاء عباده صفة من صفاته عز وجل، وكذلك حق ممشى المسلم إلى المسجد هو أن يغفر الله له، ويدخله الجنة ومغفرة الله تعالى ورحمته، وإدخاله بعض خلقه ممن يطيعه

---

(٥) – مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة،أحمد بن ابي بكر الكناني البوصيري ٩٨/١

(١) – سلسلة الاحاديث الضعيفة ٣٧/١

(٢) – أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليل من طريق الوازع بن نافع العقيلي عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله عن بلال مؤذن رسول الله ﷺ. والوازع، قال فيه البخاري: "منكر الحديث". الضعفاء (ص ٢٤٥) وقال النسائي: "متروك". الضعفاء (ص ٢٣٩). وقال أحمد وابن معين: "ليس بثقة". وقال ابن عدي: "عامة ما يرويه الوازع غير محفوظ" انظر المغني (٧١٨/٢)، والميزان (٣٢٧/٤) للذهبي، واللسان (٢١٣/٦) لابن حجر.



الجنة. كل ذلك صفات له تبارك وتعالى.وبهذا تعلم أن هذا الحديث الذي يحتج به المبتدعون ينقلب عليهم، ويصبح بعد فهمه فهماً جيداً حجة لنا عليهم، والحمد لله على توفيقه)[٣].

٤ - عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: ((**كان رسول الله ﷺ إذا أصبح، وإذا أمسى دعا بهذا الدعاء: اللهم أنت أحق من ذكر، وأحق من عبد.. أسألك بنور وجهك الذي أشرقت له السماوات والأرض، وبكل حق هو لك، وبحق السائلين عليك...**))[١].

قال الهيثمي في مجمع الزوائد: (رواه الطبراني، وفيه فضال بن جبير، وهو ضعيف مجمع على ضعفه،وقال لا يحل الاحتجاج به)[٢]. وفضال ضعيف جداً، اتهمه ابن حبان رحمه الله بالرغم من تساهله فقال: (شيخٍ يزعم أنه سمع أبا أمامة، يروي عنه ما ليس منه حديثه وقال أيضا:لا يجوز الاحتجاج به بحال، يروي أحاديث لا أصل له)[٣]،وقال ابن عدي في الكامل: (أحاديثه كلها غير محفوظة)[٤]،فالحديث شديد الضعف، فلا يجوز الاستشهاد به أيضاً.ولله الحمد

٥ - ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: ((**إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور، أو فاستعينوا بأهل القبور**))،فالحديث ظاهره الوضع، وإلاّ كيف يأمر النبيﷺ بالاستعانة بغير الله تعالى وهو من الشرك الذي حذر منه أمتهﷺمع معارضته للقرآن الكريم.

قال شيخ الإسلام:(فهذا الحديث كذب مفترى على النبي ﷺ بإجماع العارفين بحديثه، لم يروه أحد من العلماء بذلك، ولا يوجد في شيء

---

[٣] - ينظر: التوسل أنواعه وأحكامه ص٧٩

[١] - المعجم الكبير للطبراني٨/٢٦٤

[٢] - مجمع الزوائد ١٠/١١٧،و ١/٢١٦

[٣] - المجروحين، لابن حبان ٢/٢٠٤

[٤] - الكامل في الضعفاء لابن عدي ٦/٢١



من كتب الحديث المعتمدة)[٥].

٦ - ما روي انه ﷺ قال :((توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم))أو((إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي، فإن جاهي عند الله عظيم)). هذا باطل لا أصل له في شيء من كتب الحديث البتة، وإنما يرويه بعض الجهال بالسنة ،كما نبَّه على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في القاعدة الجليلة[١] قال: (وهذا الحديث كذب ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها أهل الحديث، ولاذكره أحد من أهل العلم بالحديث ، فإذا كان موسى وعيسى وجيهين عند الله عز وجل فكيف بسيد ولد آدم، صاحب المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون، وصاحب الكوثر والحوض المورود الذي آنيته عدد نجوم السماء، وماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، ومن شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً،وهو صاحب الشفاعة يوم القيامة حين يتأخر عنها آدم وأولو العزم، نوح وإبراهيم وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ويتقدم هو إليها وهو صاحب اللواء آدم ومن دونه تحت لوائه، وهو سيد ولد آدم وأكرمهم على ربه عز وجل، وهو إمام الأنبياء إذا اجتمعوا، وخطيبهم إذا وفدوا، ذو الجاه العظيم صلى الله عليه وعلى آله.مع أن جاهه ﷺ عند الله أعظم من جاه جميع الأنبياء والمرسلين، ولكن جاه المخلوق عند الخالق ليس كجاه المخلوق عند المخلوق فإنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، والمخلوق يشفع عند المخلوق بغير إذنه، فهو شريك له في حصول المطلوب، والله تعالى لا شريك له كما قال سبحانه: ﴿ **قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ** ﴾ [سورة سبأ: ٢٢ -٢٣]. فلا يلزم إذن

---

[٥] – ينظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية ص٢٠٠

[١] – ينظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص١٣٢، ١٥٠



من كون جاهه ﷺ عند ربه عظيماً، أن نتوسل به إلى الله تعالى لعدم ثبوت الأمر به عنه ﷺ، ويوضح ذلك أن الركوع والسجود من مظاهر التعظيم فيما اصطلح عليه الناس، فقد كانوا وما يزال بعضهم يقومون ويركعون ويسجدون لمليكهم ورئيسهم والمعظم لديهم، ومن المتفق عليه بين المسلمين أن محمداً ﷺ هو أعظم الناس لديهم، وأرفعهم عندهم. ترى فهل يجوز لهم أن يقوموا ويركعوا ويسجدوا له في حياته وبعد مماته؟

الجواب: إنه لا بد لمن يجوز ذلك، من أن يثبت وروده في الشرع، وقد نظرنا فوجدنا أن السجود والركوع لا يجوزان إلا له سبحانه وتعالى، وقد نهى النبي ﷺ أن يسجد أو يركع أحد لأحد، كما أننا رأينا في السنة كراهية النبي ﷺ للقيام، فدل ذلك على عدم مشروعيته، ترى فهل يستطيع أحد أن يقول عنا حين نمنع السجود لرسول الله ﷺ: إننا ننكر جاهه ﷺ وقدره؟ كلا ثم كلا، فظهر من هذا بجلاء إن شاء الله تعالى أنه لا تلازم بين ثبوت جاه النبي ﷺ وبين تعظيمه بالتوسل بجاهه ما دام أنه لم يرد في الشرع، هذا وإن من جاهه ﷺ أنه يجب علينا اتباعه وإطاعته كما يجب إطاعة ربه، وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: ((**ما تركت شيئاً يقربكم إلى الله إلا أمرتكم به**)) فإذا لم يأمرنا بهذا التوسل ولو أمرَ استحباب فليس عبادة، فيجب علينا اتباعه في ذلك وأن ندع العواطف جانباً، ولا نفسح لها المجال حتى ندخل في دين الله ما ليس منه بدعوى حبه ﷺ، فالحب الصادق إنما هو بالاتبْاع، وليس بابتداع كما قال عز وجل: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ ومنه قول الشاعر:

تعصى الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمرك في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

٧ - **عن أبي الجوزاء أوس بن عبد الله قال: قحَط أهل المدينة قحطاً**



شديداً، فشكوا إلى عائشة، فقالت: انظروا قبر النبي ﷺ فاجعلوا منه كوى إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف، قال: ففعلوا فمطرنا مطراً حتى نبت العشب، وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم، فسمي عام الفتق[١].

قال الشيخ الألباني (وهذا سند ضعيف لا تقوم به حجة لأمور ثلاثة:

أولها: أن سعيد بن زيد وهو أخو حماد بن زيد فيه ضعف. قال فيه الحافظ في "التقريب": صدوق له أوهام. وقال الذهبي في "الميزان": قال يحيى بن سعيد: ضعيف، وقال السعدي: ليس بحجة، يضعفون حديثه، وقال النسائي وغيره: ليس بالقوي، وقال أحمد: ليس به بأس، كان يحيى بن سعيد لا يستمرئه.

وثانيهما: أنه موقوف على عائشة وليس بمرفوع إلى النبي ﷺ، ولو صح لم تكن فيه حجة، لأنه يحتمل أن يكون من قبيل الآراء الاجتهادية لبعض الصحابة، مما يخطئون فيه ويصيبون، ولسنا ملزمين بالعمل بها.

وثالثها: أن أبا النعمان هذا هو محمد بن الفضل، يعرف بعارم، وهو وإن كان ثقة فقد اختلط في آخر عمره. وقد أورده الحافظ برهان الدين الحلبي حيث أورده في "المختلطين" من كتابه "المقدمة" وقال ص٣٩١: والحكم فيهم أنه يقبل حديث من أخذ عنهم قبل الاختلاط ولا يقبل حديث من أخذ عنه قبل الاختلاط أو بعده.

قلت: وهذا الأثر لا يدرى هل سمعه الدارمي منه قبل الاختلاط أو بعده، فهو إذن غير مقبول، فلا يحتج به)[١]. وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وما روي عن عائشة رضي الله عنها من فتح الكوة من قبره إلى السماء، لينزل المطر فليس بصحيح، ولا يثبت إسناده، ومما يبين كذب

---

[١]- سنن الدارمي ١/٥٦

[١] – ينظر: التوسل أنواعه وأحكامه ص١٠٤



هذا أنه في مدة حياة عائشة لم يكن للبيت كوة، بل كان باقياً كما كان على عهد النبي ﷺ، بعضه مسقوف وبعضه مكشوف، وكانت الشمس تنزل فيه، كما ثبت في "الصحيحين" عن عائشة أن النبي ﷺ كان يصلي العصر والشمس في حجرتها، لم يظهر الفيء بعد، ولم تزل الحجرة النبوية كذلك في مسجد الرسول ﷺ.. ومن حينئذ دخلت الحجرة النبوية في المسجد، ثم إنه يُبنى حول حجرة عائشة التي فيها القبر جدار عال، وبعد ذلك جعلت الكوة لينزل منها من ينزل إذا احتيج إلى ذلك لأجل كنس أو تنظيف،وأما وجود الكوة في حياة عائشة فكذب بين لو صح ذلك لكان حجة ودليلاً على أن القوم لم يكونوا يقسمون على الله بمخلوق ولا يتوسلون في دعائهم بميت، ولا يسألون الله به، وإنما فتحوا على القبر لتتنزل الرحمة عليه، ولم يكن هناك دعاء يقسمون به عليه، فأين هذا من هذا، والمخلوق إنما ينفع المخلوق بدعائه أو بعمله، فإن الله تعالى يحب أن نتوسل إليه بالإيمان والعمل والصلاة والسلام على نبيه ﷺ ومحبته وطاعته وموالاته، فهذه هي الأمور التي يحب الله أن نتوسل بها إليه، وإن أريد أن نتوسل إليه بما تُحَبُ ذاته، وإن لم يكن هناك ما يحب الله أن نتوسل به من الإيمان والعمل الصالح، فهذا باطل عقلاً وشرعاً، أما عقلاً فلأنه ليس في كون الشخص المعين محبوباً له ما يوجب كون حاجتي تقضى بالتوسل بذاته إذا لم يكن مني ولا منه سبب تقضى به حاجتي، فإن كان منه دعاء لي أو كان مني إيمان به وطاعة له فلا ريب أن هذه وسيلة، وأما نفس ذاته المحبوبة فأي وسيلة لي منها إذا لم يحصل لي السبب الذي أمرت به فيها. وأما الشرع فيقال: العبادات كلها مبناها على الاتباع لا على الابتداع، فليس لأحد أن يشرع من الدين ما لم يأذن به الله، فليس لأحد أن يصلي إلى قبره ويقول هو أحق بالصلاة إليه من الكعبة، وقد ثبت عنه ﷺ في الصحيح أنه قال:((لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا



إليها)) مع أن طائفة من غلاة العباد يصلون إلى قبور شيوخهم، بل يستدبرون القبلة، ويصلون إلى قبر الشيخ ويقولون: هذه قبلة الخاصة، والكعبة قبلة العامة ! وطائفة أخرى يرون الصلاة عند قبور شيوخهم أفضل من الصلاة في المساجد حتى المسجد الحرام [والنبوي] والأقصى. وكثير من الناس يرى أن الدعاء عند قبور الأنبياء والصالحين أفضل منه في المساجد، وهذا كله مما قد علم جميع أهل العلم بديانة الإسلام أنه مناف لشريعة الإسلام، ومن لم يعتصم في هذا الباب وغيره بالكتاب والسنة فقد ضَل وأضل، ووقع في مهواة من التلف، فعلى العبد أن يسلم للشريعة المحمدية الكاملة البيضاء الواضحة، ويسلم أنها جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وإذا رأى من العبادات والتقشفات وغيرها التي يظنها حسنة ونافعة ما ليس بمشروع علم أن ضررها راجح على نفعها، ومفسدتها راجحة على مصلحتها، إذ الشارع الحكيم لا يهمل المصالح ثم قال: والدعاء من أجل العبادات، فينبغي للإنسان أن يلزم الأدعية المشروعة فإنها معصومة كما يتحرى في سائر عبادته الصور المشروعة، فإن هذا هو الصراط المستقيم.والله تعالى يوفقنا وسائر إخواننا المؤمنين)[١].

في سنده ايضا عمرو بن مالك البكري قال الحافظ في التقريب صدوق له أوهام ، وهوضعيف عنده أي البخاري،و في سنده أبا الجوزاء أوس بن عبد الله ، قال في التقريب أوس ابن عبد الله الربعي البصري وثقوه وقال يحيى بن سعيد : قتل في الجماجم في إسناده نظر ويختلفون فيه وقال أيضاً في الكنى : أبو الجوزاء الربعي أوس تابعي مشهور قال البخاري : في إسناده نظر[٢] ، فقد ثبت أن الحديث ضعيف منقطع لايصح الاحتجاج واما متنه فقد قال الشيخ محمد نسيب الرفاعي:(

---

(١) – الرد على البكري ص٦٨-٧٤

(٢) – تهذيب التهذيب ،لابن حجر العسقلاني ٣٣٥/١



يتقولون على عائشة أنها قالت : [انظروا إلى قبر رسول الله ﷺ فاجعلوا منه كوة إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف] .وما من مسلم إلا ويعلم أن رسول الله ﷺ لما توفي دفن في بيت عائشة وعائشة بقيت ساكنة فيه فكيف تقول لهم ما قالت أليس معنى هذا أنها تكلفهم أن يهدموا سقف البيت التي تسكنه ؟ فهل هذا القول تقوله عائشة فتبقى ساكنة في بيت لا سقف له ..؟

❁ – إنها تقول فيما يزعمون : أن يجعلوا كوة من القبر إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا وعلى فرض أن السقف قد أنزلوه فيبقى حاجباً جسده الشريف ﷺ وإن الكوة حسب قول عائشة يجب أن تفتح من القبر لقولها : [انظروا إلى رسول الله ﷺ فاجعلوا منه كوة إلى السماء] فهل نبشوا القبر حتى جعلوا منه كوة إلى السماء ...؟ يقول الحديث : [... ففعلوا ...] قولوا لي بربكم : متى كان هذا ؟ من الذي تجرأ على نبش قبر رسول الله ﷺ حتى يجعلوا منه كوة إلى السماء متى فعلوا ؟ في أي زمن وفعل ... .مثل هذا !!!! أيبقى مكتوباً فلا تذكره كتب التاريخ والسير ؟!!! دلونا في أي كتاب من كتب التاريخ ذكر هذا الخبر ...

❁ – إذا كان كشف قبر الرسول ﷺ مجلبة لنزول المطر فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان حياً كان دائماً معرضاً جسمه إلى السماء ككل الناس في غدواته وروحاته وقد قحطوا في عهده ﷺ فلم ينزل الغيث بمجرد كون جسم رسول الله معروضاً للسماء بطبيعة الحال بل بقي القحط مستمرا حتى خرج ﷺ بالمسلمين إلى ظاهرة المدينة فاستسقى لهم أي دعا الله لهم فسقوا فلماذا لم يغثهم الله إلا بالدعاء ...؟

❁ – ولماذا سكتت عائشة رضي الله عنها عن هذه النصيحة فلعلهم يقولون قالتها في أول القحط ولم تسكت عنها فنقول لماذا لم يعمل



عمر بن الخطاب ﷺ لما رأى أول الأمر أن الناس كشفوا القبر فسقوا ولماذا لم يفعل هو ذلك أيضاً بل خرج بالناس إلى خارج المدينة وقال للعباس ادع فدعا واستجاب الله دعاءه فسقوا الغيث .

❁ — بعد أن فتحوا كوة من قبر رسول الله ﷺ ومطروا أما امتلأت الغرفة بالماء فأين سكنت عائشة . . . ؟!!

❁ — لما دخل رجل أعرابي إلى المسجد والرسول قائم على المنبر يخطب الجمعة فشكا الأعرابي القحط فدعا الرسول له وهو على المنبر ثم لما عاد في الجمعة القابلة ودخل المسجد والرسول قائم يخطب على المنبر فطلب الأعرابي أن يدعو الرسول صلى لإمساك المطر عنهم بعد أن تقطعت السبل فدعا الله واستجاب الله دعوته كل ذلك وكان رسول الله ﷺ محجوب الجسد بسقف المسجد ومع ذلك فقد أغاثهم ولم لم يخرج الرسول ويعرض نفسه للسماء إذ بمجرد ذلك كان يجب أن ترخي السماء بغيث مغيث . ولكن لم يفعل رسول الله ذلك أكان يجهل أن جسده مجلبة للغيث . . . ؟

❁ — ثم لماذا لم يجعلوا القبر مكشوفاً أبداً ليكون الغيث مواصلاً عند اللزوم فلو كان فتح الكوة من القبر يوجب استدرار الغيث لما حجبوها بالقبة الخضراء إلى يومنا هذا ولجعلوا القبر مكشوفاً إلى يوم القيامة لاسيما وأن الحجاز تغلب على مناخه طبيعة الجفاف وهو أكثر الأقاليم حاجة إلى المطر .

❁— لو كان هذا الخبر صحيحاً كما يزعمون لكانت بلاد الحجاز أو المدينة على الأقل مروجاً وجنات وأنهار من كثرة الأمطار التي تنزل بسبب فتح الكوة من قبر رسول الله ﷺ .

وإنني لواثق تمام الوثوق أن كل ما جاء في هذا الحديث لا أساس له من الصحة وأنه لموضوع المتن ومصنوع صناعة غر لم يستطع أن يصيغه بصيغة مقبولة فمتنه يشير عليه قبل سنده بأنه واه ساقط المعنى ولما



ركب صانعه له السند ما كان في سنده أحكم من صناعة متنه فركب له سنداً من أوهى الأسانيد وهو يظن أنه أحكم الصنعة وسد المنافذ !!؟ بهذا الحديث وأمثاله يوفق هو وغيره إلى تحويل عقائد المسلمين وإلى ضلالات ولكن خيب الله فألهم وأطاش سهامهم فأوجد في المسلمين رجالاً ينخلون الأحاديث نخلاً وهذا من فضله على هذه الأمة المحمدية بحفظه دينه الذي ارتضى لعباده)[١].

٨ - روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال :قدم علينا أعرابي بعدما دفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام فرمى نفسه على قبر النبي صلى الله عليه وسلم وحثا على رأسه من ترابه وقال : يا رسول الله : قلت فسمعنا قولك ووعيت من الله عز وجل ما وعينا عنك وكان فيما أنزل الله تبارك وتعالى عليك : ﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً ﴾ وقد ظلمت نفسي وجيتك لتستغفر لي فنودي من القبر : إنه غفر لك .

قال ابن عبد الهادي في الصارم المنكي[٢] :(أن هذا الخبر منكر موضوع ، وأثر مختلق مصنوع لا يصلح الاعتماد عليه ، ولا يحسن المصير إليه ، وإسناده ظلمات بعضها فوق بعض ، والهيثم جد أحمد بن محمد ابن الهيثم أظنه ابن عدي الطائي فإنه يكنه فهو متروك كذاب ، وإلا فهو مجهول ، وقد ولد الهيثم بن عدي بالكوفة ونشأ بها وأدرك زمان سلمة بن كهيل فيما قيل ، ثم انتقل إلى بغداد فسكنها ، قال عباس الدوري:سمعت يحيى بن معين يقول:الهيثم بن عدي كوفي ليس بثقة ، كان يكذب ، وقال العجلي وأبو داود: كذاب ، وقال أبو حاتم الرازي والنسائي والدولابي والأزدي: متروك الحديث ، وقال السعدي:ساقط

---

(١)- ينظر: التوصل الى حقيقة التوسل،الشيخ محمد نسيب الرفاعي ص١٨٧-١٨٩

(٢) - ينظر: الصارم المنكي للشمس ابن عبد الهادي١/٣٢١،والكامل لابن عدي٧ / ٢٥٦٣، والضعفاء والمتروكين للنسائي ص٢٤١،الجرح والتعديل لابن ابي حاتم٩/٨٥



قد كشف قناعه.وقال أبو زرعة:ليس بشيء.وقال البخاري:سكتوا عنه،أي اتركوه.وقال ابن عدي:ما أقل ماله من المسند ، وإنما هو صاحب أخبار وأسمار ونسب وشعر. وقال ابن حبان: كان من علماء الناس بالسير وأيام الناس وأخبار العرب ؛ إلا أنه روى عن الثقات أشياء كأنها موضوعات ، يسبق إلى القلب أنه كان يدلسها. وقال الحاكم أبو أحمد: ذاهب الحديث. وقال الحاكم أبو عبدالله: الهيثم بن عدي الطائي في علمه ومحله حدث عن جماعة من الثقات أحاديث منكرة. وقال العباس بن محمد:سمعت بعض أصحابنا يقول قالت جارية الهيثم:كان مولاي يقم الليل يصلي فإذ أصبح جلس يكذب).

قال الذهبي في ترجمة الهيثم بن عدي الطائي: (أبو عبد الرحمن المنبجي ثم الكوفي قال البخاري:ليس بثقة،كان يكذب،قال يعقوب بن محمد حدثنا أبو عبد الرحمن من أهل منبج وأُمهُ من سبي منبج،سكتوا عنه. وروى عباس عن يحيى:ليس بثقة،كان يكذب.وقال أبو داود:كذاب.وقال النسائي وغيره:متروك الحديث،وقال ايضا:الهيثم الطائي الآخر هو أيضاً كذاب،ولفظه هكذا:الهيثم عبد الغفار الطائي بصري مقل تالف.قال أحمد:عرضت على ابن مهدي أحاديث الهيثم بن عبد الغفار عن همام بن يحيى وغيره فقال:هذا يضع الحديث. وسألت الأقرع وكان صاحبنا حديث عن الهيثم فذكر نحوه.قال أحمد:وسمعت هشيماً يقول:ادعوا الله لأخينا عباد بن العوام سمعته يقول:كان يقدم علينا من البصرة رجل يقال لهُ الهيثم بن عبد الغفار فحدثنا همام عن قتادة وأبيه وعن رجل يقال له ابن حبيب وعن جماعة،وكنا معجبين به،فحدثنا بشيء أنكرته أو ارتبت به ثم لقيته بعد فقال لي:ذلك الحديث دعه،فقدمت على عبد الرحمن بن مهدي فعرضت عليه بعض حديثه فقال:هذا رجل كذاب،أو قال:غير ثقة.وقال أحمد:ولقيت الأقرع بمكة فذكرت له بعض هذا فقال:هذا



حديث البري عن قتادة،يعني أحاديث همام،قال:فخرقت حديثه وتركناه بعد)[١].

فقد اتضح ما في سنده من الوهن وكذلك ما في متنه من الطامات والأباطيل والترهات الكذب والافتراء مما يدل دلالة واضحة على أن هذا الحديث موضوع ومكذوب ومصنوع .والله تعالى اعلم

٩ - روى أن أعرابيا ... وقف على القبر الشريف وقال : اللهم إن هذا حبيبك ، وأنا عبدك ، والشيطان عدوك فإن غفرت لي ... سر حبيبك ، وفاز عبدك ، وغضب عدوك . وإن لم تغفر لي ... غضب حبيبك ، ورضي عدوك ، وهلك عبدك . وأنت يا رب ... أكرم من أن تغضب حبيبك وترضي عدوك ، وتهلك عبدك .

اللهم : إن العرب إذا مات فيهم سيد اعتقوا على قبره ، وإن هذا سيد العالمين فاعتقني على قبره ، يا أرحم الراحمين . فقال بعض الحاضرين : يا أخا العرب ، إن الله قد غفر لك ، بحسن هذا السؤال.

قال الشيخ محمد نسيب الرفاعي:(لا كلام على سند هذا الخبر لانه لا سند له ولا زمام ولا خطام وليس له ذكر في أي من كتب الحديث فما دام هذا الخبر في هذا الدرك الأسفل من عدم وجود سند له يدل على صحته فضلاً عن متنه المكذوب والملفق وما حوى من المشاكل والأباطيل فهو حديث باطل لا وجود له إلا في أدمغة من اخترعوه ووضعوه وصنعوه ... و صدقوه !!!؟ فكيف يصلح للاحتجاج به على ما يزعم القوم ... ولكن ما العمل وهذا شأنهم وهذا سبيلهم وهذا منهجهم يتكرر دائماً وأبداً في كل حديث أو خبر يحتجون به ألا إن **هذا الخبر أقل ما يقال في واضعيه أنهم** زنادقة كفرة وأقل ما يقال في

---

[١]- ينظر : ميزان الاعتدال، للذهبي٤/٣٢٤-٣٢٥



مصدقيه والمحتجين به أنهم سخفاء أغبياء أغرار جاهلون بله مغفلون ...)[٢]

وهذا الخبر في أي زمن كان ... ؟ وهذا الأعرابي من هو ... ؟ أصحابي أم تابعي أم من هو ، وما هي هويته ..... ؟ وهؤلاء الذين استحسن أحدهم سؤال الأعرابي ... من هم ومن هذا الذي أستحسن وبشر الأعرابي بمغفرة ذنبه وتالى على الله واكتشف الغيوب ... ؟ من أين علم أن الله قد غفر للأعرابي ... ؟!!! أأُوحي إليه !!؟ أم أنه يتألى على الله ؟ إن مغفرة الله لعبده من أمور الغيب ولا يمكن القطع بها لأحد قط إنما ترجى له من الله رجاءً ودعاء فالقطع والجزم بها على الشكل الوارد في الخبر إنما هو كذب وجرأة على الله أو ادعاء منه بأنه يعلمٍ الغيب ولا يعلم الغيب إلا الله (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول الله ...)، وقوله يا اخا العرب هذا خطأ فاحش فالمعروف عند المسلمين ان صيغة النداء يا أخا الإسلام ثم أي حسن في سؤال الأعرابي ودعائه من أوله إلى آخره ... ؟ وإنه لمليء بالكفر والزندقة كما ثبت ذلك آنفاً ؟ ثم إن سكوت الحاضرين على شهادة شاهد الزور إقرار لشهادته الكاذبة الكافرة إذا كان هناك واقع لكل ما ذكر أما الحقيقة فليس هناك أعرابي ولا دعاء ولا سؤال ولا حاضرون ولا غائبون إنما هو خبر ملفق من أساسه موضوع مكذوب مصنوع مختلق وضعه الزنادقة.

١٠ - روي عن محمد بن حميد الرازي[١] قال: ناظر أبوجعفر أمير المؤمنين مالكاً في مسجد رسول الله ﷺ، فقال له مالك: يا أمير

---

[٢] – ينظر: التوصل الى حقيقة التوسل،الشيخ محمد نسيب الرفاعي ص٢١٠

[١] –قال الذهبي في المغني (٢/٥٧٣): ضعيف لا من قبل حفظه، قال يعقوب بن شيبة: كثير المناكير. وقال البخاري: فيه نظر. وقال النسائي: ليس بثقة. وقال أبوزرعة: يكذب. وقال صالح جزرة: ما رأيت أحذق بالكذب منه ومن ابن الشاذكوني.



المؤمنين، لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإن الله أدب قوماً فقال ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾(الحجرات ٢) ، ومدح قوماً فقال:﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾(الحجرات ٣) ، وذم قوماً فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾(الحجرات ٤) ، وإن حرمته ميتاً كحرمته حياً. فاستكان لها أبوجعفر، فقال: يا أبا عبد الله، أستقبل القبلة وأدعو؟ أم أستقبل رسول الله ﷺ؟ فقال: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (النساء ٦٤).

قال شيخ الإسلام:(وهذه الحكاية منقطعة؛ فإن محمد بن حميد الرازي لم يدرك مالكاً لا سيما في زمن أبي جعفر المنصور، فإن أبا جعفر توفي بمكة سنة ثمان وخمسين ومائة، وتوفي مالك سنة تسع وسبعين ومائة، وتوفي محمد بن حميد الرازي سنة ثمان وأربعين ومائتين[١] ولم يخرج من بلده حين رحل في طلب العلم إلا وهو كبير مع أبيه،وهو مع هذا ضعيف عند أكثر أهل الحديث، كذّبه أبوزرعة وابن وارة.وقال صالح بن محمد الأسدي: ما رأيت أحدًا أجرأ على الله منه وأحذق بالكذب منه[٢]. وقال يعقوب بن شيبة: كثير المناكير، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال ابن حبان: ينفرد عن الثقات بالمقلوبات ، وآخر من روى الموطأ عن مالك هو أبو مصعب[٣] وتوفي سنة اثنتين وأربعين ومائتين.

---

(١) – ينظر: المجروحين لابن حبان (٣٠٣/٢)، وتهذيب التهذيب (١٣١/٩)، والميزان (٥٣١/٣).

(٢) –ينظر: تاريخ بغداد (٢٦٢/٢) وقال: محمد بن حميد أحاديثه تزيد وما رأيت أجرأ على الله منه. في الموضع السابق من التأريخ.

(٣) – الإمام الفقيه أحمد بن أبي بكر الزهري المدني، قاضي المدينة وعالمها، سمع مالكاً وطائفة. وفاته كما ذكر شيخ الإسلام. راجع الكاشف (٥٣/١)، والتقريب (١٢/١)، والتذكرة (ص ٤٨٢).



وآخر من روى عن مالك على الإطلاق هو أبو حذيفة أحمد ابنٍ إسماعيل السهمي توفي سنة تسع وخمسين ومائتين.وفي الإسناد أيضاً من لا يعرف حاله ،وهذه الحكاية لم يذكرها أحد من أصحاب مالك المعروفين بالأخذ عنه، ومحمد بن حميد ضعيف عند أهل الحديث إذا أسند، فكيف إذا أرسل حكاية لا تعرف إلا من جهته!)[٤].

١١ – وفي صحيح البخاري!! : [أنه لما جاء الأعرابي وشكا للنبي ﷺ القحط فدعا الله فانجابت السماء بالمطر قال ﷺ : ((لو كان أبو طالب حياً لقرت عيناه من ينشد قوله ؟)) فقال علي رضي الله عنه يا رسول الله : كأنك أردت قوله :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه   ثمال اليتامى عصمة للارامل

فتهلل وجه الرسول ﷺ ولم ينكر إنشاد البيت ولا قوله يستسقى الغمام بوجهه ولو كان ذلك حراماً لأنكر ولم يطلب إنشاد البيت ولا قوله يستسقى الغمام بوجهه ولو كان ذلك حراماً لأنكر ولم يطلب إنشاده.

والصواب : أن راوي الحديث هو البيهقي في دلائل النبوة لا البخاري وفي سنده مسلم الملائي وهو متروك[١] وهو واه جداً قال الفلاس: متروك وقال أحمد : لا يكتب حديثه . وقال : يحيى : ليس بثقة وقال البخاري : يتكلمون فيه . وقال يحيى أيضاً : زعموا أنه اختلط . وقال النسائي وغيره : متروك وقال الذهبي : إنه روى حديث الطائر الذي أهدته أم أيمن لرسول الله ﷺ وحديث الطائر موضوع عند أهل الحديث .

١٢ – روى الطبراني في الكبير : أن سواد بن قارب رضي الله عنه أنشد الرسول ﷺ قصيدته التي توسل فيها ، ويقول الدحلان : ولم ينكر الرسول عليه ومنها قوله :

---

[٤] – ينظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ،لابن تيمية ص٨٢

[١] – ينظر: ميزان الاعتدال ١٠٧/٤،الجرح والتعديل١٩٣/٨،الكامل في الضعفاء٣٠٦/٦، الضعفاء للعقيلي ١٥٣/٤



واشهد أن الله لا رب غيره وانك مأمون على كل غائب!!
وانك أدنى المرسلين وسيلة إلى الله يابن الاكرمين الأطايب.

قال الشيخ محمد نسيب الرفاعي[٢]:(فقد ذكر الحافظ ابن حجر الهيثمي في كتابه مجمع الزوائد إنه حديث ضعيف كما ثبت أن كافة طرقه ورواياته التي ورد فيها ضعيفة واهية وإليك البيان :

- رواية البيهقي وهي عنده : فيها زياد بن زيد بن بادويه ومحمد بن نواس الكوفي . قال الذهبي : هذا حديث منكر بالمرة ، ومحمد بن نواس وزياد ، مجهولان لا تقبل روايتهما . وأضاف : وأخاف أن يكون موضوعاً أبي بكر بن عباس ، هو أحد رجال سند الحديث

- رواية أبي يعلى : وقد رواها ابن كثير في السير – المطولة ص٣٤٤ -٣٤٦ وقال : هذا منقطع من هذا الوجه .وقد أوضح الحافظ الذهبي في الجزء الأول من تاريخ الإسلام الكبير ص١٢٤ علة هذه الطريقة . فقال : أبو عبد الرحمن : اسمه عثمان بن عبد الرحمن الوقاص متفق على تركه وعلي بن منصور فيه جهالة مع أن الحديث منقطع .

- رواية ابن عدي : قال الذهبي : فيه سعيد ، يقول : أخبرني سواد بن قارب – وبينهما انقطاع – وعباد ليس بثقة يأتي بطامات .

- رواية محمد بن السائب الكلبي : قال ابن كثير في السيرة المطولة ج١ ص٣٤٨ -٣٤٩ : محمد بن السائب الكلبي متهم بالكذب ورمي بالرفض كما في التقريب .

- رواية أبي بكر محمد بن جعفر بن سيل الخرائطي في كتابه الذي جمعه في هواتف الجان وهي عند ابن كثير في السيرة المطولة ص٣٤٦ وفيها الشعر ما سوى : (وكن لي شفيعاً) .

---

[٢] – ينظر : التوصل الى حقيقة التوسل،الشيخ محمد نسيب الرفاعي ص٢١٨



❁ – رواية الفضل بن عيسى القرشي : عن العلاء بن يزيد .قال السيوطي في شرح شواهد المغني ج٢ ص٢٥٥ : والعلاء ابن يزيد قال المديني : كان يضع الحديث . وقال البخاري وغيره منكر الحديث . وقال أبو حيان : روى نسخة موضوعة . وأورد له الذهبي في الميزان عدة مناكير .

❁ – رواية الحسن بن سفيان : في مسنده من طريق الحسن بن عمارة . قال السيوطي في شرح شواهد المغني ص٢٥٥ : والحسن بن عمارة ضعيف جداً أرأيت يا أخي القارئ الكريم تهافت هذا الحديث وعدم صلاحه للاحتجاج به ... لا متناً ولا سنداً ...!!!؟

١٣ – عن مالك الدار:(**أن الناس أصابهم قحط في خلافة عمر رضي الله عنه فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ وقال : يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا فأتاه رسول الله ﷺ في المنام وقال له إئت عمر فأقرأه السلام وأخبره : أنهم سيسقون.. وقل له : عليك الكيس الكيس . فأتى الرجل عمر ، فأخبره ، فبكى عمر ثم قال : يا رب ما آلو إلا ما عجزت عنه**)[١] .

قال الشيخ الألباني:(قلت: والجواب من وجوه:**الأول:** عدم التسليم بصحة هذه القصة، لأن مالك الدار غير معروف العدالة والضبط، وهذان شرطان أساسيان في كل سند صحيح كما تقرر في علم المصطلح، وقد أورده ابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل" ٤/٢١٣ ولم يذكر راوياً عنه غير أبي صالح هذا، ففيه إشعار بأنه مجهول، ويؤيده أن ابن أبي حاتم نفسه – مع سعة حفظه واطلاعه – لم يحك فيه توثيقاً فبقي على الجهالة، ولا ينافي هذا قول الحافظ: [...بإسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان...] لأننا نقول: إنه ليس نصاً في تصحيح جميع السند بل إلى أبي صالح فقط، ولولا ذلك لما ابتدأ هو

[١]– مصنف ابن أبي شيبة١٢/٣٢، دلائل النبوة للبيهقي ٨/٩١



الإسنادَ من عند أبي صالح، ولقال رأساً: عن مالك الدار... وإسناده صحيح، ولكنه تعمد ذلك، ليلفت النظر إلى أن ها هنا شيئاً ينبغي النظر فيه، والعلماء إنما يفعلون ذلك لأسباب منها: أنهم قد لا يحضرهم ترجمة بعض الرواة، فلا يستجيزون لأنفسهم حذف السند كله، لما فيه من إيهام صحته لاسيما عند الاستدلال به،بل يوردون منه ما فيه موضع للنظر فيه، وهذا هو الذي صنعه الحافظ رحمه الله هنا، وكأنه يشير إلى تفرد أبي صالح السمان عن مالك الدار كما سبق نقله عن ابن أبي حاتم، وهو يحيل بذلك إلى وجوب التثبت من حال مالك هذا أو يشير إلى جهالته. والله أعلم.

وهذا علم دقيق لا يعرفه إلا من مارس هذه الصناعة، ويؤيد ما ذهبت إليه أن الحافظ المنذري أورد في "الترغيب" (٤١/٢ -٤٢) قصة أخرى من رواية مالك الدار عن عمر ثم قال: (رواه الطبراني في "الكبير"، ورواته إلى مالك الدار ثقات مشهورون، ومالك الدار لا أعرفه). وكذا قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (١٢٥/٣). وقد غفل عن هذا التحقيق صاحب كتاب "التوصل" (ص٢٤١) فاغتر بظاهر كلام الحافظ، وصرح بأن الحديث صحيح، وتخلص منه بقوله: (فليس فيه سوى: جاء رجل..) واعتمد على أن الرواية التي فيها تسمية الرجل ببلال بن الحارث فيها سيف، وقد عرفت حاله.وهذا لا فائدة كبرى فيه، بل الأثر ضعيف من أصله لجهالة مالك الدار كما بيناه.

الثاني: أنها مخالفة لما ثبت في الشرع من استحباب إقامة صلاة الاستسقاء لاستنزال الغيث من السماء، كما ورد ذلك في أحاديث كثيرة، وأخذ به جماهير الأئمة، بل هي مخالفة لما أفادته الآية من الدعاء والاستغفار، وهي قوله تعالى في سورة نوح: ﴿فقلت: استغفروا ربكم إنه كان غفاراً، يرسل السماء عليكم مدراراً..﴾ وهذا ما فعله عمر بن الخطاب حين استسقى وتوسل بدعاء العباس كما سبق بيانه،



وهكذا كانت عادة السلف الصالح كلما أصابهم القحط أن يصلوا ويدعوا، ولم ينقل عن أحد منهم مطلقاً أنه التجأ إلى قبر النبي ﷺ، وطلب منه الدعاء للسقيا، ولو كان ذلك مشروعاً لفعلوه ولو مرة واحدة، فإذا لم يفعلوه دل ذلك على عدم مشروعية ما جاء في القصة.

الثالث: هب أن القصة صحيحة، فلا حجة فيها، لأن مدارها على رجل لم يسم، فهو مجهول أيضاً، وتسميته بلالاً في رواية سيف لا يساوي شيئاً، لأن سيفاً هذا – وهو ابن عمر التميمي – متفق على ضعفه عند المحدثين، بل قال ابن حبان فيه: [يروي الموضوعات عن الأثبات، وقالوا: إنه كان يضع الحديث]. فمن كان هذا شأنه لا تقبل روايته ولا كرامة،لا سيما عند المخالفة.

الرابع: أن هذا الأثر ليس فيه التوسل بالنبي ﷺ، بل فيه طلب الدعاء منه بأن يستسقي الله تعالى أمته، وهذه مسألة أخرى لا تشملها الأحاديث المتقدمة، ولم يقل بجوازها أحد من علماء السلف الصالح رضي الله عنهم، أعني الطلب منه ﷺ بعد وفاته)[١]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية[٢] :(لم يكن النبي ﷺ بل ولا أحد من الأنبياء قبله شرعوا للناس أن يدعوا الملائكة والأنبياء والصالحين، ويستشفعوا بهم، لا بعد مماتهم، ولا في مغيبهم، فلا يقول أحد:يا ملائكة الله اشفعوا لي عند الله، سلوا الله لنا أن ينصرنا أو يرزقنا أو يهدينا، وكذلك لا يقول لمن مات من الأنبياء والصالحين: يا نبي الله يا ولي الله الأصل: رسول الله ادع الله لي، سل الله لي، سل الله أن يغفر لي...ولا يقول: أشكو إليك ذنوبي أو نقص رزقي أو تسلط العدو علي، أو أشكو إليك فلاناً الذي ظلمني،ولا يقول: أنا نزيلك، أنا ضيفك، أنا جارك، أو أنت تجير من يستجيرك.ولا يكتب أحد ورقة ويعلقها عند القبور، ولا يكتب احد

---

[١]– ينظر : التوسل أنواعه وأحكامه ص٩٧–٩٩

[٢] – ينظر : قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص١٩



محضراً أنه استجار بفلان، ويذهب بالمحضر إلى من يعمل بذلك المحضر ونحو ذلك مما يفعله أهل البدع من أهل الكتاب والمسلمين، كما يفعله النصارى في كنائسهم، وكما يفعله المبتدعون من المسلمين عند قبور الأنبياء والصالحين أو في مغيبهم، فهذا مما علم بالإضطرار من دين الإسلام، وبالنقل المتواتر وبإجماع المسلمين أن النبي ﷺ لم يشرع هذا لأمته، وكذلك الأنبياء قبله لم يشرعوا شيئاً من ذلك، ولا فعل هذا احد من أصحابه ﷺ والتابعين لهم بإحسان، ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين، لا الأئمة الأربعة ولا غيرهم، ولا ذكر أحد من الأئمة لا في مناسك الحج ولا غيرها أنه يستحب لأحد أن يسأل النبي ﷺ عند قبره أن يشفع له أو يدعو لأمته، أو يشكو إليه ما نزل بأمته من مصائب الدنيا والدين، وكان أصحابه يبتلون بأنواع البلاء بعد موته، فتارة بالجدب، وتارة بنقص الرزق، وتارة بالخوف وقوة العدو، وتارة بالذنوب والمعاصي، ولم يكن أحد منهم يأتي إلى قبر الرسول ولا قبر الخليل ولا قبر أحد من الأنبياء فيقول: نشكوا إليك جدب الزمان أو قوة العدو، أ, كثرة الذنوب ولا يقول: سل الله لنا أو لأمتك أن يرزقهم أو ينصرهم أو يغفر لهم، بل هذا وما يشبهه من البدع المحدثة التي لم يستحبها أحد من أئمة المسلمين، فليست واجبة ولا مستحبة باتفاق أئمة المسلمين، وكل بدعة ليست واجبة ولا مستحبة فهي بدعة سيئة وضلالة باتفاق المسلمين[1].

١٤ - وروي أنه ﷺ قال:(لولا عباد ركع وصبية رضع وبهائم رتع لصب

---

[1]- يحمل كلام شيخ الإسلام هنا على أحد وجهين: أولهما: أن يكون خاطب المخالفين بما يعتقدون من انقسام البدعة بحسب الأحكام الخمسة، ومنها الوجوب والاستحباب. وثانيهما: أن يكون أراد بالبدعة اللغوية منها، وهي ما حدث بعد النبي ﷺ، ودل عليها الدليل الشرعي. وإنما قلنا هذا لما هو معروف عنه رحمه الله انه يعد البدعة الشرعية كلها ضلالة، وتمام كلامه هنا يدل عليه.



عليكم البلاء صباً)[٢].

قال الذهبي :الحديث ضعيف، مالك بن عبيدة وأبوه مجهولان، وقال ابوحاتم ويحيى بن معين أنه مجهول لايُعرف،وفيه أيضا إبراهيم بن خثيم بن عراك بن مالك الغفاري وهو ضعيف، قال الجوزجاني كان غير مقنع أختلط بأخره، قال النسائي متروك[٣].

والحديث لا يصلح لهم للاحتجاج، وبلا شك أن للعباد الركع فضلاً ولهم مقام عند الله تعالى والصبية الرضع لم يقترفوا إثماً بعد فهم برآء من السوء والبهائم الرتع إنها بهائم غير مسؤولة وليست عاقلة أما العذاب على المستحقين فلا يمنعه وجود هؤلاء فالله غالب على أمره عن شاء منع العذاب رحمة بهؤلاء أو شاء صب العذاب على الجميع بما فيهم هؤلاء أيضاً ويحاسب كل على عمله وبقدره، فلا نستطيع أن نجزم بأن وجود هؤلاء مانع لوقوع العذاب قال الله تعالى﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾ [الأنفال٢٥]، وهذا مما يدل على أن هذا الخبر ليس صحيحاً على إطلاقه.

١٥ - عن التابعي بكر بن عبدالله المزني قال:قال رسول الله ﷺ:((**حياتي خير لكم ووفاتي لكم خير تحدثون فيحدث لكم فإذا أنا مت عرضت علي أعمالكم فإن رأيت خيرا حمدت الله وإن رأيت شرا استغفرت الله لكم**))[١]،الحديث ضعيف مرسل لان بكر المزني تابعي لم يصرح ممن سمعه، وأخرجه البزار أيضا من حديث عبد الله بن مسعود وفي إسناده عبد المجيد بن عبد العزيز متكلم فيه، قال ابن حبان عنه:منكر الحديث جدا، يقلب الأخبار ويروي المناكير عن المشاهير فاستحق الترك[٢].

---

[٢]- سنن البيهقي الكبرى٣/٣٤٥، حلية الأولياء لأبي نُعيم٦/١٠٠

[٣]- ينظر : الكامل في الضعفاء٦/٣٨٠،ميزان الاعتدال ١/٣٠و٣/٤٢٨،لسان الميزان٥/٥

[١] – مسند البزار ١/٣٠٧

[٢] – المجروحين لابن حبان ٢/١٥٢



وقال البوصيري:مرسل ضعيف وفيه جسر بن فرقد القصاب أبو جعفر البصري مجمع على ضعفه ولم أرى من وثقه[٣].

قال الشيخ الألباني:هذا الحديث طرقه كلها ضعيفة[٤]، وقد ضعفه العجلوني[٥] وابن القيسراني[٦] .

وهو يعارض ما في الصحيحين ، فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا ثُمَّ قَرَأَ ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾فَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ ثُمَّ يُؤْخَذُ بِرِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِي ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ فَأَقُولُ أَصْحَابِي فَيُقَالُ إِنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الْفِرَبْرِيُّ: ذُكِرَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَنْ قَبِيصَةَ قَالَ: هُمْ الْمُرْتَدُّونَ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ فَقَاتَلَهُمْ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١]، فالشاهد من هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول لله تعالى كما قال عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ونستفيد من هذه الآية:أن النبي صلى الله عليه وسلم غير مطّلع على أعمالنا أو أنه يراقبنا، وما روى مسلم عن أبي هريرةﷺ قولهﷺ:((**أَلَا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ**

---

[٣] – إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة،احمد بن أبي بكر البوصيري٧/٧٤

[٤] – ينظر: ضعيف الجامع الصغير وزيادته١/٦٥٠والسلسلة الضعيفة٢/٤٠٤

[٥] – كشف الخفاء للعجلوني١/٤٤٢

[٦] – معرفة التذكرة لابن القيسراني٣/١٢٥٠

[١] – صحيح البخاري ٣/١٢٧١



أُنَادِيهِمْ أَلَا هَلُمَّ فَيُقَالُ إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا))[٢]، والنبيﷺ لايعرض عليه شيء من أعمالنا باستثناء الصلاة والسلام عليه فقط كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة،وهذا تناقض ظاهر فلابد من رد حديث المزني الضعيف حتى يسلم الحديث القوي الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم.

١٦ - يروى عن عبد الملك بن هارون بن عنترة عن أبيه عن جده أن أبا بكر الصديق أتى النبي ﷺ فقال : إني أتعلم القرآن ويتفلت مني فقال رسول الله ﷺ :((قل : **اللهم إني أسألك بمحمد نبيك وإبراهيم خليلك وبموسى نجيك وعيسى روحك وكلمتك وبتوراة موسى وانجيل عيسى وفرقان محمد وبكل وحي أوحيته وقضاء قضيته....))**، وهذا الحديث ذكره رزين بن معاوية العبدري في جامعه، ونقله ابن الأثير في جامع الأصول[٣] ولم يَعزُه لا هذا ولا هذا إلى كتاب من كتب المسلمين، قال شيخ الإسلام:(قلت: عبد الملك بن هارون بن عنترة من المعروفين بالكذب، قال يحيى بن معين: هو كذاب[٤]. وقال السعدي دجال كذاب[٥].

وقال أبو حاتم بن حبان: يضع الحديث[١]. وقال النسائي: متروك[٢]. وقال البخاري: منكر الحديث[٣]. وقال أحمد بن حنبل: ضعيف[٤]. وقال

---

(٢) – صحيح مسلم ٥٣/٢

(٣) – جامع الأصول لابن الأثير ٣٠٢/٤، حديث ٢٣٠٢.

(٤) – التأريخ لابن معين ٣٧٦/٢ في الترتيب، الترجمة١٦٨٨.

(٥) – أحوال الرجال ص ٦٨، رقم ٧٧، والسعدي: هو الحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق السعدي الجوزجاني، توفي سنة (٢٥٩)، انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ (٥٤٩/٢)، وتهذيب التهذيب (١٨١/١).

(١) – كتاب المجروحين ١٣٣/٢.

(٢) – كتاب الضعفاء والمتروكين ص ١٦٦

(٣) – الضعفاء ص ١٤٨



ابن عدي: له أحاديث لا يتابعه عليها أحد[٥]. وقال الدارقطني: هو وأبوه ضعيفان[٦]. وقال الحاكم في كتاب المدخل[٧]: عبد الملك بن هارون بن عنترة الشيباني روى عن أبيه أحاديث موضوعة،وأخرجه أبو الفرج ابن الجوزي[٨] في كتاب الموضوعات)[٩].

١٧ - موسى بن عبد الرحمن الصنعاني صاحب التفسير بإسناده عن ابن عباس مرفوعاً أنه قال : من سره أن يوعيه الله القرآن وحفظ أصناف العلم فليكتب هذا الدعاء في إناء نظيف أو في صحف من قوارير بعسل وزعفران وماء ومطر وليشربه على الريق وليصم ثلاثة أيام وليكن إفطاره عليه ويدعو به في أدبار صلواته : **اللهم إني أسألك بأنك مسؤول لم يسأل مثلك ولا يسأل وأسألك بمحمد نبيك وإبراهيم خليلك وموسى نجيبك وعيسى روحك وكلمتك ووجيهك وذكر تمام الدعاء .**

قال شيخ الإسلام:(وموسى بن عبد الرحمن هذا من الكذابين، قال أبو أحمد بن عدي فيه: منكر الحديث.وقال أبو حاتم ابن حبان: دجال يضع الحديث، وضع على ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس كتاباً في

---

[٤] – العلل ومعرفة الرجال ١/٣٨٤.

[٥] – الكامل ٥/١٩٤٢

[٦] – الضعفاء والمتروكين ص٢٨٩ رقم ٣٦٢، وعبارته: "عبد الملك بن هارون بن عنترة الكوفي عن أبيه، وأبوه أيضاً متروك". فكلمة أيضاً تدل على أنه قال فيه: متروك، أو لأن الكتاب موضوع للضعفاء والمتروكين

[٧] –١/١٧٠، رقم (١٢٩).

[٨] – الموضوعات: ٣ /١٧٤ ، ١٧٥ بإسناده إلى مجاهد عن ابن مسعود مرفوعاً. وقال عقبه: هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ والمتهم به عمر بن الصبح، قال ابن حبان: يضع الحديث على الثقات، فلعله سقط من المطبوع، وأورده السيوطي في اللآلئ (٢/٣٥٧)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/٣٢٢)، وعزواه إلى أبي الشيخ في كتاب الثواب. وقال السيوطي وتابعه ابن عراق: "عبد الملك دجال مع ما في السند من الإعضال".

[٩]– قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص١١٣



التفسير جمعه من كلام الكلبي ومقاتل[(١)]. ويروى نحو هذا – دون الصوم – عن ابن مسعود من طريق موسى بن إبراهيم المروزي حدثنا وكيع عن عبيدة عن شقيق عن ابن مسعود. وموسى بن إبراهيم هذا قال فيه يحيى بن معين: كذاب[(٢)]، وقال الدارقطني: متروك، وقال ابن حبان: كان مغفلاً يلقن فيتلقن فاستحق الترك.ويروى هذا عن عمر بن عبد العزيز عن مجاهد بن جبر عن ابن مسعود بطريق أضعف من الأول.ورواه أبوالشيخ الأصبهاني من حديث أحمد بن إسحاق الجوهري: حدثنا أبوالأشعث، حدثنا زهير بن العلاء[(٣)] العتبي، حدثنا يوسف بن يزيد عن الزهري، ورفع الحديث قال: من سره أن يَحفظ فليصم سبعة أيام، وليكن إفطاره في آخر هذه الأيام السبعة على هؤلاء الكلمات.قلت: وهذه أسانيد مظلمة لا يثبت بها شيء.وقد رواه أبوموسى المديني في أماليه، وأبوعبد الله المقدسي، على عادة أمثالهم في رواية ما يروى في الباب سواء كان صحيحاً أو ضعيفاً، كما اعتاده أكثر المتأخرين من المحدثين، أنهم يروون ما روي به الفضائل، ويجعلون العهدة في ذلك على الناقل، كما هي عادة المصنفين في فضائل الأوقات والأمكنة والأشخاص والعبادات والعادات.كما يرويه أبوالشيخ الأصبهاني في فضائل الأعمال وغيره، حيث يجمع أحاديث كثيرة لكثرة روايته، وفيها أحاديث كثيرة قوية صحيحة وحسنة، وأحاديث كثيرة ضعيفة موضوعة وواهية.وكذلك ما يرويه خيثمة بن سليمان في فضائل الصحابة)[(١)].

---

(١) – كتاب المجروحين ٢/٢٤٢

(٢) – الميزان ٤/١٩٩.

(٣) – قال أبو حاتم: "أحاديثه موضوعة" الميزان ٢/٨٣.

(١) – قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية ص١١٩



وهكذا فقد تبين أن هذا الحديث مكذوب المتن والسند كباقي ما سبقه من الأحاديث التي احتج بها **هؤلاء** على صحة دعواهم من جواز التوسل بذوات المخلوقين .

١٨ - عن أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد قال: ((**كان رسول الله ﷺ يستفتح بصعاليك المهاجرين**))[٢]. فيرى هؤلاء أن هذا الحديث يفيد أن النبي ﷺ كان يطلب من اللّه تعالى أن ينصره، ويفتح عليه بالضعفاء المساكين من المهاجرين!!.

قال الشيخ الألباني:{ قلت: مداره على أمية هذا، ولم تثبت صحبته، فالحديث مرسل ضعيف، وقال ابن عبد البر في "الاستيعاب" ٣٨/١: (لا تصح عندي صحبته، والحديث مرسل) وقال الحافظ في "الإصابة" ١٣٣/١: (ليست له صحبة ولا رواية). قلت: وفيه علة أخرى، وهي اختلاط أبي إسحاق وعنعنته، فإنه كان مدلساً، إلا أن سفيان سمع منه قبل الاختلاط، فبقيت العلة الأخرى وهي العنعنة.

فثبت بذلك ضعف الحديث وأنه لا تقوم به حجة. وهذا هو الجواب الأول.

الثاني: أن الحديث لو صح فلا يدل إلا على مثل ما دل عليه حديث عمر، وحديث الأعمى من التوسل بدعاء الصالحين.قال المناوي في "فيض القدير": كان يستفتح أي يفتتح القتال، من قوله تعالى: ﴿إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح﴾ ذكره الزمخشري. ويستنصر أي يطلب النصرة بصعاليك المسلمين أي بدعاء فقرائهم الذين لا مال لهم. قلت: وقد جاء هذا التفسير من حديثه، أخرجه النسائي ١٥/٢بلفظ:((إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم))وسنده صحيح، وأصله في "صحيح البخاري" ٦٧/٦، فقد

[٢] – المعجم الكبير للطبراني ٢٩٢/١



بين الحديث أن الاستنصار إنما يكون بدعاء الصالحين،لا بذواتهم وجاههم.ومما يؤكد ذلك أن الحديث ورد في رواية قيس بن الربيع المتقدمة بلفظ:((كان يستفتح ويستنصر...)) فقد علمنا بهذا أن الاستنصار بالصالحين يكون بدعائهم وصلاتهم وإخلاصهم، وهكذا الاستفتاح، وبهذا يكون هذا الحديث – إن صح – دليلاً على التوسل المشروع، وحجة على التوسل المبتدع، والحمد لله} [١].

ثالثا: احتجاجهم بأحاديث تثبت حياة البرزخ منها قوله ﷺ: ((**إن أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي قالوا: يا رسول الله ! وكيف تعرض صلاتنا عليك، وقد أرمتَ (قال: يقولون: بَليتَ)، قال: إن الله حرم على الأرض أجساد الأنبياء**))[٢] ، ومنها قوله ﷺ:((**الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون**))[٣] وقوله ﷺ: ((**مررت ليلة أسري بي على موسى قائماً يصلي في قبره**))[٤] وقوله: ((**إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام**))[٥].

يستدلون بهذه الأحاديث على جواز التوسل بهم لأنهم عليهم السلام أحياء في قبورهم كحياتنا، وهذا وهم وافتراء بلا دليل، لان حياتهم بعد الوفاة مخالفة لحياتهم قبل الوفاة، ذلك أن الحياة البرزخية غيب من الغيوب، ولا يدري كنهها إلا الله سبحانه وتعالى، ولكن من الثابت والمعلوم أنها تختلف عن الحياة الدنيوية، ولا تخضع لقوانينها،

---

[١] – ينظر : التوسل أنواعه وأحكامه ص٨٢

[٢] – سنن أبي داود١/٣٤٢، سنن النسائي٣/٩١،سنن ابن ماجة١/٣٤٥،مسند أحمد٤/٨ ،صحيح ابن خزيمة٣/١١٨وغيرهم وصححه الألباني.

[٣] – مسند أبي يعلى ٦/١٤٧وباسناد صحيح .

[٤] – صحيح مسلم٤/١٨٢٥ .

[٥] –سنن النسائي الكبرى١/٣٨٠،مسند أحمد١/٣٨٧،مسند البزار٥/٣٠٧، وإسناده صحيح



فالإنسان في الدنيا يأكل ويشرب، ويتنفس ويتزوج، ويتحرك ويتبرز، ويمرض ويتكلم، ولا أحد يستطيع أن يثبت أن أحداً بعد الموت حتى الأنبياء عليهم السلام، وفي مقدمتهم نبينا محمد ﷺ تعرض له هذه الأمور بعد موته، ومما يؤكد هذا أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يختلفون في مسائل كثيرة بعد وفاته ﷺ، ولم يخطر في بال أحد منهم الذهاب إليه ﷺ في قبره، ومشاورته في ذلك، وسؤاله عن الصواب فيها،ولما عدلوا عنه ﷺ في الاستسقاء إلى عمه العباس رضي الله عنه يستسقون بدعائه، لماذا؟ إن الأمر واضح جداً، وهو أنهم كلهم يعلمون أنه ﷺ انقطع عن الحياة الدنيا، ولم تعد تنطبق عليه أحوالها ونواميسها فرسول الله ﷺ بعد موته حي، أكمل حياة يحياها إنسان في البرزخ، ولكنها حياة لا تشبه حياة الدنيا، ولعل مما يشير إلى ذلك قوله ﷺ: ((**ما من احد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام**))[1]، وعلى كل حال فإن حقيقتها لا يدريها إلا الله سبحانه وتعالى، ولذلك فلا يجوز قياس الحياة البرزخية أو الحياة الأخروية على الحياة الدنيوية، كما لا يجوز أن تعطى واحدة منهما أحكام الأخرى، بل لكل منها شكل خاص وحكم معين، ولا تتشابه إلا في الاسم، أما الحقيقة فلا يعلمها إلا الله تبارك وتعالى.وإن ما بين الأحياء والأموات حاجز يمنع الاتصال فيما بينهم قطعياً وعلى هذا فيستحيل الاتصال بينهم والله سبحانه يقول : ﴿ **وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴾ [المؤمنون من الآية١٠٠] والبرزخ معناه : الحاجز الذي يحول دون اتصال هؤلاء بهؤلاء لا سيما وأن الله تعالى يقول : ﴿ **إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ** ﴾ [النمل ٧٩]،ويقول عز وجل : ﴿ **وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ**

---

[1] – سنن أبي داود ٦٢٢/١ وحسنه الشيخ الألباني .



بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾[فاطر٢٢].

هذه بعض الأحاديث التي يحتج بها المجوزون للتوسل بذوات المخلوقين والتي تبين بطلانها أو تحريفها عن وجهها الشرعي بتأويلات فاسدة أو بالكذب المتعمد على رسول الله(ﷺ) والكذب على الصحابة الكرام والصالحين من سلف الأمة الصالح ، والاعتماد على المنامات والرؤيا التي لاينبني عليها حكم شرعي ،وتركنا الكثير منها لم نرد عليها لوضوح بطلانها لكل ذي لُب وخشية الإطالة، وكذلك يروون بعض الأكاذيب عن الأئمة الأعلام كالشافعي(رحمه الله) بأنه توسل بالمخلوقين ببيتين من الشعر نترفع عن ذكرهما لما فيهما من مخالفة لفقه الإمام الشافعي واتهام له بقلة العلم والجهل بالعقيدة ، فانه كان أشد العلماء تمسكاً بالسنة ونصراً لها وحرصاً على حمايتها من البدعة فلا يعقل بشكل من الأشكال أن ينسب إليه خرق للسنة لا فعلاً ولا قولاً ولا إقراراً، ومع ذلك فإننا نتحدى هؤلاء أن يثبتوا بالنقل الصحيح أن الشافعي قال هذين البيتين من الشعر حاشاه رحمه الله من ذلك ، وليس الشافعي أول من كُذب عليه، بل كُذب على من هو أعظم وأجل منه، فقد كذب على رسول الله ﷺ فالذي يجرأ أن يكذب على سيد الخلق لا يتورع أن يكذب على الشافعي وغيره من الأئمة المرضيين رحمهم الله تعالى، فينبغي على الإنسان العاقل ألا يصدق مثل هذه الخرافات، وأن يعلق قلبه بالله وينزل حاجته به حتى تقضى ولا يلتفت إلى الخلق لأن الخلق ضعفاء مساكين فيهم الجهل والعجز، وكيف يطلب الإنسان حاجته من مخلوق مثله ؟ وقد يكون ذلك المخلوق ميتا أيضا لا يسمع ولا يرى ولا يملك شيئا ، ولكن الشيطان يزين للناس ما كانوا يعملون .

الخاتمة

مما سبق تبين أن التوسل الحقيقي المشروع هو الذي يكون عن طريق طاعة الله تعلى وطاعة رسوله صلى الله عليه واله وسلم وذلك بفعل الطاعات واجتناب المحرمات، وعن طريق التقرب إلى الله بالأعمال الصالحة وسؤاله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، والتوسل بدعاء الصالحين الأحياء، فهذا هو الطريق الموصل إلى رحمة الله تعالى ومرضاته، وما عداه من التوسل إلى الله تعالى بجاه المخلوقين فهو توسل ممنوع لم يرد فيه دليل صحيح صريح في الشرع، وهو من البدع المستحدثة في الدين وكل بدعة ضلالة كما اخبر الصادق الأمين ﷺ،وهو لايصل إلى الشرك الأكبر والعياذ بالله، بل هو شرك أصغر لا يخرج من الملة، وان كان التمادي فيه يقدح في التوحيد كما قرر ذلك أهل العلم ، ومن هنا يتبين بان التسليم في هذه الأمور للشرع الحنيف انفع واحكم واسلم، فلا توسل إلى الله تعالى إلا بما شرّع في كتابه العزيز وبما ورد من صحيح حديث رسول الله ﷺ وعن سلف الأمة الصالح من الصحابة الكرام والأئمة الأعلام،**لان شروط قبول العمل أن يكون خالصا لوجه الله تعالى،وان يكون موافقا لسنة رسول الله ﷺ،والتوسل الممنوع فاقد لهذين الشرطين**، قال الفضيل بن عياض رحمه الله :في قوله تعالى ﴿**ليبلوكم أيكم أحسن عملا**﴾[الملك من الاية٢] ، قال أخلصه وأصوبه؛ وقال إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا وصوابا قال والخالص إذا كان لله عز وجل والصواب إذا كان على السنة[١] .

وجماهير علماء السلف الصالح بمنعهم التوسل الممنوع لا يدعون إلى

---

[١]– ينظر: تفسير البغوي ١٧٥/١، جوامع العلوم والحِكم لابن رجب الحنبلي ١٣/١



شيء تخيلوه أو إلى أمر ابتدعوه بل يدعون إلى الدعوة الأولى كما نزلت على داعيها عليه الصلاة والسلام أول مرة بلا تزييف ولا تأويل ولا تعطيل ولاتشبيه، والمجوزون للتوسل الممنوع يقيسون الخالق عز وجل على المخلوقين فيقولون: إن أحدنا إذا كانت له حاجة عند ملك أو وزير أو مسؤول كبير فهو لا يذهب إليه مباشرة، لأنه ربما لا يلتفت إليه، هذا إذا لم يرده أصلاً، ولذلك كان من الطبيعي إذا أردنا حاجة من كبير فإننا نبحث عمن يعرفه، ويكون مقرباً إليه وجيهاً عنده، ونجعله واسطة بيننا وبينه، فإذا فعلنا ذلك استجاب لنا، وقضيت حاجتنا، وهكذا الأمر نفسه في علاقتنا بالله سبحانه – بزعمهم – فالله عز وجل عظيم العظماء، وكبير الكبراء، ونحن مذنبون عصاة، وبعيدون لذلك عن جناب الله، ليس من اللائق بنا أن ندعوه مباشرة، لأننا إن فعلنا ذلك خفنا أن يردنا على أعقابنا خائبين، أو لا يلتفت إلينا فنرجع بخفي حنين، وهناك ناس صالحون قريبون إليه سبحانه، يستجيب لهم إذا دعوه، ويقبل شفاعتهم إذا شفعوا لديه، أفلا يكون الأولى بنا والأحرى ان نتوسل إليه بجاههم، ونقدم بين يدي دعائنا ذكرهم، عسى ان ينظر الله تعالى إلينا إكراماً لهم، ويجيب دعاءنا مراعاة لخاطرهم، فلماذا يُمنع هذا النوع من التوسل، والبشر يستعملونه فيما بينهم، فلم لا يستعملونه مع الله تعالى؟ والجواب: هذا قياس مع الفارق وهو باطل فكيف يقيسون الخالق على المخلوق، ويشبهون قيوم السماوات والأرض، أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين، الرؤوف الرحيم بأولئك الحكام الظالمين، والمتسلطين المتجبرين الذين لا يأبهون لمصالح الرعية، ويجعلون بينهم وبين الرعية حجباً وأستارا، فلا يمكنها أن تصل إليهم إلا بوسائط ووسائل، ترضي هذه الوسائط بالرشاوي والهبات، وتخضع لها وتتذلل، وتترضاها وتتقرب إليها، إنهم بهذا التشبيه يصفون الله تعالى بأبشع الصفات حين يقيسونه على



الحكام الظلمة، والمتسلطين الفجرة، وكيف يتفق هذا مع ما يجب من تعظيم الله تعالى وتنزيهه من مشابهة المخلوقين؟ وإذا خاطب احدنا الحاكم وجهاً لوجه، ويكلمه دون واسطة أو حجاب أيكون ذلك أكمل وأمدح له، أم حين لا يتمكن من مخاطبته إلا من خلال وسائط قد تطول وقد تقصر؟ إن تشبيه الله تعالى بخلقه كفر كله حذر منه سبحانه حيث قال: ﴿ **فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ [سورة النحل: الآية ٧٤]،قال الحافظ ابن كثير: لا تجعلوا له أندادًا وأشباها وأمثالا[١]،كما نفى سبحانه أي مشابهة بينه وبين أي خلق من مخلوقاته فقال: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ [سورة الشورى: من الآية ١١]، وهذا شر تشبيه أن يشبهه الله تعالى بالأشرار والفجار والفساق من الولاة، وهو يظن أنه يحسن صنعاً ! سبحانك ربي هذا بهتان عظيم .

وفي الختام أسأل الله عز وجل الإخلاص والتوفيق والسداد في سائر الأقوال والأعمال، وأعوذ به من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن دعاء لا يسمع وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله تعالى على سيد الوجهاء وصاحب أعظم جاه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الشيخ

ضياء الدين الصالح الاثري

بتاريخ ١٤١٣ هـ/١٩٩٢م

جامع الاسراء والمعراج

---

[١]– تفسير ابن كثير ٤/٥٨٨ .



الفهرست

المقدمة ١

المبحث الأول: التعريف ببعض المصطلحات الشرعية،وفيه خمسة مطالب

المطلب الأول: تعريف اللياذة والاستعاذة ٣

المطلب الثاني:تعريف

الاستنصار...٣

المطلب الثالث:تعريف

الاستغاثة..٣

المطلب الرابع:تعريف الدعاء وهو

العبادة...٤

المطلب الخامس:تعريف التوسل لغة

وشرعا...٤

المبحث الثاني:التوسل المشروع

وأنواعه...١٠

الأول: التوسل بأسماء الله الحسنى وصفاته

العليا...١١

الثاني: التوسل بالأعمال الصالحة التي قام به

الداعي.......................................١٣

الثالث : التوسل إلى الله تعالى بدعاء الرجل

الصالح..١٥

المبحث الثالث:الرد على شبهات واغاليط المجوزين للتوسل

المنوع..............................١٩

المطلب الأول:احتجاجهم بالآيات القرآنية.................١٩

١ -قوله تعالى﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾



[البقرة الآية٣٧]،
٢ - قوله تعالى﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة الآية٨٩]
٣ - قوله تعالى﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء الآية٦٤]،
المطلب الثاني:احتجاجهم بالأحاديث النبوية الشريفة..٢٤
أولا - احتجاجهم بالأحاديث الصحيحة ومنها
١ -حديث استسقاء عمر بالعباس رضي الله عنهما..٢٤
٢ - حديث الضرير..٢٨
ثانيا - احتجاجهم بالأحاديث الضعيفة والموضوعة ومنها.................................٣١
١ - حديث أنس بن مالك ﷺ قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم رضي الله عنها
٢ - حديث أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف :(أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له ٣٢
٣ -حديث الخروج الى المسجد:عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً:((من خرج من بيته إلى الصلاة، فقال: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك..٣٥
٤ -حديث أبي أمامة ﷺ قال: ((كان رسول الله ﷺ إذا أصبح، وإذا أمسى دعا



بهذا الدعاء: اللهم أنت أحق من ذكر، وأحق من عبد...٣٦
٥ -ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: ((إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور، أو فاستعينوا بأهل القبور))
٦ - ما روي انه ﷺ قال :((توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم))
٧ -حديث أبي الجوزاء أوس بن عبد الله قال: قحَط أهل المدينة قحطاً شديداً، فشكوا إلى عائشة، فقالت: انظروا قبر النبي ﷺ فاجعلوا منه كوى...٣٨
٨ - ما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال :قدم علينا أعرابي بعدما دفنا رسول الله ﷺ بثلاثة أيام فرمى نفسه على قبر النبي ﷺ ٤١
٩ -ما روى أن أعرابيا ... وقف على القبر الشريف وقال : اللهم إن هذا حبيبك ، وأنا عبدك ، والشيطان عدوك فإن غفرت لي ٤٢
١٠ - روي عن محمد بن حميد الرازي قال: ناظر أبوجعفر أمير المؤمنين مالكاً في مسجد رسول الله ﷺ فقال له مالك: يا أمير المؤمنين..٤٣
١١ - حديث أنه لما جاء الأعرابي وشكا للنبي ﷺ القحط فدعا الله فانجابت السماء بالمطر
١٢ - أن سواد بن قارب رضي الله عنه أنشد الرسول ﷺ قصيدته التي توسل فيها............................٤٤
١٣ - حديث مالك الدار:(أن الناس أصابهم قحط في خلافة عمر رضي الله عنه فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ وقال : يا رسول الله استسق لأمتك...٤٥



١٤ - حديث لولا عباد ركع وصبية رضع وبهائم..٤٧
١٥ - حديث حياتي خير لكم ووفاتي لكم خير..٤٧
١٦ - حديث اللهم إني أسألك بمحمد نبيك وإبراهيم خليلك ٤٨
١٧ - حديث من سره أن يوعيه الله القرآن وحفظ أصناف العلم ٤٩
١٨ - حديث كان رسول الله ﷺ يستفتح بصعاليك المهاجرين ٥٠
ثالثا: احتجاجهم بأحاديث تثبت حياة البرزخ والرد عليهم....................................٥١
منها حديث إن أفضل أيامكم يوم الجمعة وحديث الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون وحديث مررت ليلة أسري بي على موسى قائماً وحديث إن لله ملائكة سياحين يبلغوني
الخاتمة ٥٣
الفهرست..٥٥

